قصة
نكيدة
نورة طاع الله

نكيدة

نورة طاع اللّه

مديرة الدار : هاجر علاء "Jo"

01066392197

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يُعرض صاحبه للمساءلة القانونية ، أما حقوق الملكية الفكرية والآراء والمادةالواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

اسم الكتاب : نكيدة || تأليف : نورة طاع الله

النـــوع : روايـــة || الطبعة : الأولى

تصحيح وتدقيق لغوي : لمار علي

رقم الإيداع : 2025-58830

الترقيم الدولي : 978-977-95-5732-8

إن الكاتب/ة مسؤول مسؤولية كاملة عن عمله وكافة الحقوق الفكرية

والملكية تعود للكاتب/ة وحده.

عندما يتفق الجميع على أن يكونوا ضدك وضد ما أنت عليه وحتى ضد أن تكون متواجد بالحياة فهنا يعني أن هناك من يكره وجودك، وتواجدك وبقاءك حيًا في هذه الحياة.

"نكيدة" هو ذلك الاسم الذي اختاره أبي الخمسيني ورفضته أمي بصمت شديد، فكان القبول رغم الرفض، وتم تسميتي نكيدة، هذا الاسم الذي لا يعلم عنه الكثير فهل هو اسم أو كلمة تشبه لاسم وفي الحقيقة هي كلمة لا تصلح بأي شكل من الأشكال أن تكون اسم لطفلة بريئة كل البراءة. فلا للاسم يليق ولا به تلك الملامح والعبارات، ولا تلك الايحاءات والرسالات التي تدل أن هذا اسم يتم اختياره وتوثيقه ليكون اسمي، الذي لم أحبه يومًا فقد كرهت نفسي؛ بسبب هذا الاسم، الذي لم أجرأ في أي وقت من الأوقات ولا في ذلك اليوم من الأيام ولا في إحدى الدقائق واللحظات في أن أسأل أبي لما هذا الاسم، ولما أنا بالذات. فلن يكون هناك رد سوى لكمة ستوقعني أرضًا وتخفي نصف الملامح.

كل ما أعرفه هو تلك الليلة التي قدمت فيها لم أطرق فيها الباب ولم أستأذن للدخول، لا أعرف سوى أنني دخلت حياة من هم لم يرغبوا بتواجدي منذ اللحظة الأولى إلى اللحظة الحالية، فلا شيء تغير بعد طيلة هذه السنوات ولا القلوب اليابسة الصلبة لانت، ولا المشاعر الرقيقة حطت على كتفي يومًا بلمسة أطرد من خلالها جميع الأوجاع، والألام الخفية المكبوتة التي لم تتحرر، لا في ليلة سوداء ولا في يوم أبيض ولا مع أناس ساعدوني على العيش كما يجب.

أبي يكرهني كره لا الذي أحب وكره ولا الذي كره من كثير الأفعال والتصرفات، كرهني؛ لأنني نكيدة وفقط، لأنني تلك البنت التي بقي يرفضها

رغم أنني اطيع الجميع وأرضي كل من يمر على حياتي أو حتى يومي، مرور المسافر المستعجل الذي لا يملك وقتًا لشرب كوب الشاي ولا في انهاء فنجان القهوة المر.

"نكيدة" هذا اسمي الذي لم أقل عنه لأحد إلا أنه اسمي الذي حاولت مرارًا وتكرارًا وفي جميع الأوقات، وعند الفرصة وبدونها اخفائه فاخترت لنفسي اسمًا يلي اسمًا والاسم الأول أجمل من الثاني والثاني قد تخطى الجمال عن الأول، إلا أن الجميع سوى نكيدة ينادونني وما على نكيدة سوى أن تؤمر الأذن بعدم السماع أو أنني أسمع ولا أقنع نفسي بأنني سمعت، فلم أعتبر نكيدة اسمي يومًا إلا أنه هذا هو اسمي الذي يضحك عنه هذا وذاك ويسألني كل من سمعه لما هذا الاسم لكن من يجيب وأنا قد أردت إجابة من أبي الذي اختار هذا الاسم في وقت عصيب كما وصفه، وفي لحظة سوداء لم يكن بها النور ليحن القلب وتبصر العين لرؤيتي وأنا المولودة التي ولدت في ليلة باردة لم تهدأ فيها المطر عن ازعاج الأرض والآخرين.

كانت ليلة مرعبة بكل ما فيها من وصف وحدث وما كان.

أنا نكيدة رقم خمسة، فقد سبقني أربع صبيان فما تريد يا أبي وأنت قد رزقت بالبنت في آخر المطاف أم لا زلت تبحث عن الولد وأنت أب لأربعة أم أن نكيدة هي البنت التي جلبت لك النكد؟ وأنت الذي لم يحب البنات يومًا، فمن المذنب أنا التي جاءت للحياة وكان لك القرار والاختيار في قدومي أم أنت المذنب؟ فكرهك للبنت جعلك تسميني نكيدة وكأنني الجالبة للنكد في يوم وفي ساعة أنت عوض أن تفرح حزنت وشعرت بالنكد والملل واليأس فما كان عليك سوى أن تلقي عليا هذا الاسم نكيدة لأضل الذكرى التي لو تمكنت لكنت قد دفتها دون أدنى تفكير أو تردد.

تعلمت في أنني أخفي حزني، وأتظاهر دومًا بأنني الشجاعة القوية التي تحاول دون ملل ولا توقف في إرضاء أب لم يضحك في وجهي يومًا، ولم أشاركه الطعام على مائدة أو جلسة واحدة منذ الولادة إلى أن كبرت.

أنا الوحيدة رغم أن لي أهل وأب وأم وأربعة أخوة، أنا اليتيمة فما أشعر به هو الحقيقة لا الذي هو ظاهر ومعروف.

طفولتي كانت معاناة لا تشبه للحقيقة وإنما حقيقة ذاتية قد تخطت حدود وواقع الحقيقة بمراحل. لم ألعب فالكل يتجنبني ومن بينهم بنت الجيران والزميلات في درس حفظ القرأن.

لم أعرف للعيد تاريخًا، ولا للفرحة مكانًا، وعنوانًا. فأنا التعيسة دومًا والتي تبكي عند رحيل الجميع.

لم أتعلم البوح وكشف المشاعر ولا الصراخ ورفض الحال، أجبروني على السكوت والاستمرار فيه وعلى البقاء بعيدة في تلك الغرفة المهجورة التي اختارها أبي، في أن تكون غرفتي.

الغرفة الفارغة لا بها تسريحة ولا أغراض أنثى تصرح شعرها، فترى الجمال فتحب نفسها فتنسى حزنها فتنطلق باحثة عن من يراها عن قرب فيغير نظرته فيها.

أعيش معهم في بيت واحد إلا أنني منفصلة عن الجميع أبي لا يحب رؤيتي فقد نفاني في هذه الغرفة، ومنعني من الخروج منها في الأوقات التي يكون هو بالبيت، وهو بالغالب بالبيت فهو ينهي عمله بالمزرعة باكرًا ويعود إلى المنزل مع توقيت صلاة الظهر، أين أكون أنا؟ قد تجهزت لتناول الغداء مع أي أحد هنا بالمنزل.

حتى أمي تكرهني، لا مثل كره أبي إلا أنها تكرهني؛ لأن أبي ابتعد عنها وتزوج بأخرى معاقبة لها على قدومي للحياة، فما كان عليها سوى أن تلومني وتكرهني وتتفق مع أبي على نفس المعاملة، فلا هي معه تطيق رؤيتي ولا تقبل بجلوسي معهم على مائدة واحدة.

أقسم أنني لو سمعت صوت أبي بالخارج فلن أعرفه ولن أعرف أمي من صوتها حتى ملامحهما لم أحفظها إلى الآن.

واخوتي معي بنفس المعاملة والحال أسوأ من أي حال.

وما أصعب عيشتي هذه، والقرية عالم صغير لا هروب فيه ولا هروب منه إلى الخارج، وكل الحدود والمداخل والمخارج محمية ومحروسة بالكامل.

لم أفكر في الرحيل ولا الهروب فأنا لا زلت أحافظ على كرامة أبي رغم كل ما أعيشه معه ومع البقية.

بغرفتي أطبخ بآخر النهار بعد أن أجهز الأكل للكبير والصغير وأنظف وأرتب ملابس وأغراض من هم يكرهون رؤيتي.

أشتهي وضع سلة الفواكه تلك الموجودة بالمطبخ بين قدمي فأستمتع في أكلها لأتذكر أنني إنسانة حية تأكل ما تشتهي وما تريد، لا تأكل الذي يرمونه أو يختارونه لي لأكله.

امتنعت أمي عن ارضاعي؛ لأن أبي يرفضني ويكرهني، وما على أمي الصعبة سوى أن ترافق أبي في هذا الرفض والكره لأكون بالنهاية أنا المذنبة والمتهمة، وما أنا سوى الضحية المسكينة التي لا تدري ما الذنب المقترف وما الجريمة المرتكبة من طرفي حتى الآن.

كان أخي خالد الأصغر من الأخ الأكبر، هو من يرضعني حليب بقرة العائلة، وعمتي إسعادة تراقب حالتي وتطمئن أن كنت لا زلت على قيد الحياة أو اماتني الجوع وفك أضلعي البرد وفتتني الإهمال.

كانت عمي إسعادة تأخذني إلى بيتها في الأوقات التي تستطيع رعايتي فيها فهي فقيرة جدًا، وأم لسبعة أولاد، وزوجها طريح الفراش مريض لا يقوى على النهوض سوى هي تعمل بأرض أبي تساعده في جني الثمار والاعتناء بالزرع والحصاد.

رغم كره الجميع لي ورغم بشاعة حياتي واسمي إلا أن الله وهبني ورزقني جمال لا يشبه أي جمال، وكل ما يراني لا يقول سوى ما هذا سبحان الله تبارك الرحمن.

أنا الجميلة المحبة للحياة، الراغبة في التغيير الحالمة بحياة أفضل وبالرحيل.
أنا الصبورة المتحملة؛ من أجل الوصول للمبتغى والهدف ولما أرغب وأريد.

رغم تسلطهم وعنفهم وكرههم وتجاهلهم ليإالا أنني لم أكرهم لحد الآن ولا زلت تلك المطيعة الخادمة المنفذة لأوامر هذا ولقوانين ذاك.

لا زلت أبحث لهم عن الراحة ليرتاحوا وعن السعادة ليكونوا سعداء وعن الجميل ليكونوا عني راضين مقتنعين ولا هم بمقتنعين بنكيدة ولا هو يحاولون أن يحبونها، في لحظة إرضاء مني ولا في صورة ضحكة أرسلها لهم ولكل أرجاء وجدران المكان على أمل أن يعم بيننا السلام والمحبة وتكون الحياة بيننا غير هذه الحياة.

لم أتعود معهم على التعبير عن الإحساس ولا قول الحقيقة في لحظتها ولا الاعتراض عن الذي لا يجب سوى السماع من بعيد، والرؤية من وراء النوافذ والأبواب لا أكثر من ذلك.

جعلوا مني البنت التعيسة التي لم تعرف سوى الحزن في أوقات لا حزن فيها وسوى الوحدة والجلوس لوحدي في أوقات الاجتماع والفرح.

لم أعرف للفرح هيئة وملامح في هذا المنزل ومع هؤلاء ولا للأمل ضرورة وعنوان، ولا للحق قاض يحكم سوى بالعدل والمساواة.

هل لهذه الدرجة يكرهونني بلا سبب سوى لأنني نكيدة وفقط؟

جمال نكيدة الذي لا مثيل له زاد من عروض الزواج عليّ وأنا سوى في عمر الثانية عشر والثالثة عشر سنة فقط.

وما أن بلغت الرابعة عشر من عمري قرر أبي أن يزوجني وأن لا أبقى عنده، رغم أنه لم يراني منذ ولادتي إلا أنه سئم من تواجدي واشتمام رائحتي ولمحي من بعيد فقد أراد أن يوفر مصاريف أكلي وشربي القليل وأخذ غرفتي ليتزوج بها أحدى اخوتي الذكور.

ما أن سمعت عمتي إسعادة بأن أبي يريد أن يزوجني لبست الجرأة لأول مرة وقدمت نحو أبي أين طلبت منه أن يزوجني ابنها أيوب.

لم ترد عمتي أن أذهب إلى أي مكان ولأنها تعلم بأن أبي سيزوجني بالذي لا يستحق أن أكون معه فقد أرادت أن تنقذني وتأخذني إلى ابنها الذي لم يتجاوز سنه العشرون سنة بعد.

وللمرة الأولى أقف أمام أبي الذي بمجرد رؤيته لي صرخ في وجهي وطردني بعصاه البنية الصلبة فانصرفت، ومن بعيد قلت له: أنا أوافق على زواجي من ابن عمتي أيوب.

وكان رد أبي لا هو بصادم ولا هو بمتوقع بأنني سأتزوج بالذي يختاره هو لا الذي اختاره أنا أو غيري فأنا نكيدة الجالبة للنكد واليأس والتشاؤم، فرحيلي من المنزل تحت مسمى الزواج قرار متأخر بالنسبة لأبي وأنا لا ازال ابنة الرابعة عشر سنة فقط فهذا هو حال القرية وزواج البنات بالقرية.

ذهبت عند عمتي خلسة وطلبت منها أن تذهب إلى أبي ثانية وتطلب منه نفس الطلب ذاته على أمل أن يكون القبول، إلا أن عمتي إسعادة لم تتجرأ ولم تكن بنفس الجرأة والقوة السابقة وبقيت أنا جاهلة لمصيري وما سأعيشه بعد مغادرتي لهذا القبر والجحيم.

أنا لا أرغب في الزواج أرغب في عيش ما لم أعشه منذ يومي الأول.. أرغب في الدراسة والتعلم، أرغب في أن يحبونني قبل الزواج وأشعر بدفئهم ولو للحظة قبل توديعهم.

لا أحب أحد ولست معجبة بأي أحد لأختاره زوجًا لي غصبًا عن الجميع، أنا سوى نكيدة التي تسعى دون توقف لتحبها أمها وأبيها والبقية.

لم أشبع من طفولتي بعد بالأحرى لم أعشها لكي أتزوج فأنا الطفلة الباحثة عن دميتها في حوش المنزل وبين الأشجار وعند كوخ الدجاج، أنا الطفلة التي لم تشعر بالأمان والحب والسلام مع من هم مني وأنا منهم، فلا أبحث عن أمان غير هذا البحث من الأمان فإنني لا زلت أخاف من الجميع ولا أثق

حتى بالباب الذي أغلقه بإحكام ولا بالسرير الذي أنام عليه وهو مهيأ للانكسار والانقسام إلى اثنان.

أن رحلت من هنا فإنني سأرحل بعيدًا عن القربة وهذا العالم والمكان، فلن أجد الراحة بأيها مكان وبالأخص بهذه القرية، يروننني عنوان النحس والحزن فكيف أجد الحب بين قلوب أهل القرية وهؤلاء الناس.

وأنا بغرفتي أترجى النوم وأنا التي أنام دون شعور واحساس في المعتاد، فالنهار بالنسبة لي عمل دون توقف وطلبات لم تعرف النهاية إلى اليوم وبالليل، أنا التي أنام دون فرشة وغطاء في عز البرد وشدة الرياح والأمطار، فأنام وأنا واقفة بعد أن أغيب عن الأنظار.

منذ أن علمت بأن أبي يريد أن يزوجني لأغرب عن وجهه ويتخلص مني لم أرى للنوم ظل ولا خيال وأنا ساهرة مع النجوم كلمني أبي من وراء الباب وأخبرني أن عرسي خلال هذا الأسبوع بعد عدة أيام.

شعرت بدوخة قوية لم أنهض على أثرها ساعات ولم يسأل عني أحد رغم أني غبت عن المطبخ فقد انهوا خدمتي فلا يزال وقت إلا لجمع الأغراض.

من العريس؟ ومن يكون؟ فلي حق أن أعرف فهذا حق وقرار، ذهبت وحدثت والدتي فلم أجد عندها الجواب رغم أنها تعلم ما تعلمه وتخفي عني عمدًا عن عمد مع سبق الترصد والإصرار.

خرجت من المنزل في تلك الليلة إلى عمتي أخبرتها وكانت ردة الفعل دموع وحضن الوداع.

فتبًا للجميع فلست أنا الأضحية ولا كبس الفداء.

ماذا أفعل؟ ما العمل؟ فلن يفكوا عني القيود والحبال ولو بالكفاح، وما عليا إلا التجهز ليوم كيف سأكون فيه العروس وأنا الطفلة التي تجهل الكثير والكثير عن الزواج.

وفي ساعة أخبروني أن الزوج صديق أبي أبو الجواد، رجل خمسيني وأنا ابنة الرابعة عشر، فأي ابتلاء هذا سوى أنه ظلم عظيم فويل للظالم من نتائج هذا الزواج.

كيف لأبي أن يزوجني بصديقه وهو يكبرني بكثير ومتزوج وأب لاثنًا عشر ولد أصغر أولادهم أكبر مني سنًا؟!

نعم، أبي يكرهني، ولكن هل لهذا الكره أن يبيعني أبي؟ نعم هذا بيع وليس زواج.

كان لا بد أن أواجه أبي تلك المواجهة الحقيقية التي من خلالها أنهي هذه المسرحية الفاشلة، وأعيد لنفسي حياتها وأنا أستعد للمواجهة وجدت خمسة رجال أبي وأبنائه الأربعة واقفون يؤمرونني بأن أنفذ الكلام وأستجيب لرغبة أبي ولا أعارض لا مع نفسي ولا مع أي أحد بالداخل أو بالخارج وأنا ككل مرة أطبق الأوامر بعناية وحرص شديد يفوق كل الاجتهادات والاتقان.

وضعوا على سريري الفستان الأبيض المتسخ من الأسفل وقالوا أن العرس بقي عليه عشر ساعات.

أمي بالخارج تستقبل الجيران، والبعض من الأهل والأصدقاء والعادات هي نفسها العادات سحبوا منها ما لا يطيقون عليه وأبقوا الذي لا أساس له من البقاء.

جاءت من سرحت لي شعري، ولونت خدي، وسحبت الرموش إلى الأعلى، وحددت حدود الشفاه، ورسمت الحاجب؛ فازددت جمالًا فوق الجمال جمال.

وأمي تلقنني الدرس بأمر الحفظ، فالزوج له الطاعة والخدمة دون ملل أو استسلام ولا عودة لك إلى هذا المنزل فلم تعودي تنتسبين إلينا فلا أنتِ البنت بنتنا، من هذه اللحظة ومن الآن ولا لكِ عودة فالمكان من محى اسمك من القائمة، ورمى صورتك من الجدران.

وأنا أسمع الخطاب وعيب درس لم أسمع مثله فإنني لا زلت ابنة الأربعة عشر من سلم العمر والحياة.

ارتديت الحذاء الأحمر ذات الكعب العالي، وجلست غصبًا أنتظر خاطفي.. دخل وخاتم النحاس بيده فما هذا الحظ وما هذا القدر من بين الأقدار.

قبل دخوله أحضروا لي المرأة لأرى كيف أبدوا على أمل أن أرضى قليلًا فأمدح نفسي وأطلق عليها اسم أجمل عروس لا فتاة.

سحب يدي بقوة وقبلها حتى سمعت طقطقة اصبع قد ارتدى خاتمًا فتوجع.

أمرني بالنهوض، فنهضت وأنا الفاقدة لكل شيء من وعي ، من إحساس، من عقل، من قوة، وسرت وقفت عند الباب أنتظر قدوم أبي ليقبلني على جبيني ويقول لي بتلك النظرات الحادة والصوت الظالم الخشن الوداع الوداع.

لم أجد أحد عند الباب لا أخي ولا أبي ولا من سأتركها وأرحل عنها فالأم أم وتبكي عند الفراق.

مشيت وكأن أحدًا يمشي مكاني ببطء شديد، اترجى من خلاله العودة إلى الوراء أو التبخر مثل الماء.

بالخارج زفة وأغاني وضرب نار فهو السعيد لا أنا ،ولا من هم تركتهم بالوراء.

رغم كل هذه الأحداث المؤلمة لم أبكي ولم تستجب العين للبكاء فقد أردت أن أبدوا قوية، وأي قوة في هذا الموقف وبكل هذا الشعور والصعب من الإحساس.

لم ينطق أحد من المشاهدون ولم يقل الذي عنده إيمان ما هذا وما الذي يحدث فهذه جريمة والقاتل عريس وأب نفذوا جريمتهم أمام أعين كل الناس.

لم أتوقف عن طلب المساعدة من الجميع بالنظرات مع أن الجميع فهموا الطلب إلا أن هذا هو مصير البنت والزواج سترة من العار والحرام.

الكل يصفق ومن رقص قد رقص بجنازة الأموات فالجميع مجرمون كالذي شاهد كالذي هنأ العريس وأنا أموت من الوجع والآهات.

دخلت منزله فهناك هدوء مخيف قد اماتني في تلك اللحظات إلى أن ظهرت زوجته، وهي لا تقوى على الوقوف من كرسيها فهي المشلولة القعيدة الراضية بهذا الزواج.

فتحوا لي باب غرفة العروس فهي غرفة بنات العريس.. غرفتي غرفتهم أو بالأحرى أنني نزيلة عند ست بنات.

وهو يجر القعيدة وأقفلوا في وجه الجميع الباب بخبطة ألف خبطة لباب.

شعرت بالراحة والطمأنينة، وجلست وسط الغرفة أضحك وكهكهة المسرورة وصلت عند من بات خفيف الحمل فنكيدة لم نعد نسمع حركاتها من تلك الخطوات.

بقيت بفستان التعاسة إلى أن أسمع الديك صوته للأصم وباقي النائمين بلا إحساس.

قررت أن لا أحزن نفسي وأعاند الآخرين بالبرود واللامبالاة، فهي هي السياسة التي اتبعتها من الآن إلى نهاية حياتي من الحياة.

اتجهت إلى المطبخ وفتحت الثلاجة وأكلت ما وجدت، ولم أفكر في البقية، فإنني من الآن نكيدة التي تفكر سوى في نفسها، ولا يهم من مات ومن بقي على قيد الحياة، ولا من جاع ونام فارغ البطن والأمعاء.

جاء من يقولون عنه زوجي من صلاة الفجر طالبًا فطور الملك يوم انتصاره وانسحاب الأعداء، وأنا في تجهيز الفطار أخذت استراحة محارب قد أرهقته كل التفاصيل بهذه الحياة.

سئم أبي الزوج من الانتظار، فضربني ضرب الحيوان للحيوان، وأنا التي تعودت على ما تعودت عليه، فهنا مثل الذي كان هناك بالتفصيلة والجزء وتكرير جلّ الأحداث.

لم يأتوا لزيارتي، ونكيدة لا تنتظر زيارة الغرباء.. فقد نسيتهم بنصف المئة نسيان، فلا أنا منهم منذ الأزل، ولا هم الأهل والأعداء.

ماذا تريد أن تأكل أيها الأب الزوج؟ فلست أنا من يجيد الأكل لا من الألف إلى الياء أو حتى الباء، فعليك بأكل البنات كما في السابق، أم أنك نسيت أن الضيف يمر عليه الأربعين لا الثلاث.

نادتني زوجة الزوج أم غفير والست بنات، فكلمتني وكلمتها، وقالت أن زوجي سيبقى زوجي، وتبقي أنت من جاءت لخدمتي لا أكثر من ذلك، فهل سمعتِ يا نكيدة يا أصغر البنات؟

سمعت، قد سمعت وهذا ما أريد، فيكفيني الرحيل من ذلك المنزل والبشر الذي فيه وأنا هنا خادمة كالأمس كاليوم فلن تضرني خدمتك من الشيء ضرًا فشكرًا على هذا الخبر والقرار.

وبدأت حياتي في هذا المنزل كنفس ذاك المكان خادمة دومًا ولكن ارضاءهم ليس من أهم غاياتي، فمن رضي فلست أنا مرضيته وما لم يرضى ليس له بالرضا نصيب من نكيدة فلست المرضية بكل الأحوال.

كيف ستسير الحياة هنا؟ فلم أضع مخططًا ولا برنامجًا فالسير باليوم راحة للبال.

ليس هناك محبة في التعامل، فأنا نكيدة مصدر النحس والنكد والازعاج وأنا بغير ذلك إلا أن للاسم نصيب، لما أنا عليه كما قالها الذي قد قالها وهي لا تنطبق إلا على من قيلت عليها لا على نكيدة صاحبة القلب الطيب النظيف من كل الشوائب والأوساخ.

لم أشتاق لتلك التي لم تودعني عند الباب ولا لمن غاب عند لحظة الوداع، اشتقت سوى لعمتي التي رفض الأب الزوج دخولها هذا البيت أو لقائي بها عند أقرب مكان.

ولأنني نكيدة بأعين وظنون الجميع فلن أكون سوى نكيدة التي رأوها بالصورة التي رأوني بها لا غير.

فعلت ما استطعت والتقيت بإسعادة فطمأنتها أن الأمور تحت السيطرة فالحال عن ذاك الحال قد تخطاه بكل الأحوال ومن يوقفني من الآن إلا من قد جمع بين الخير والشر في غطاء الاناء.

من أراد رحيلي رحلت عنه بالغضب لا بالرضا والقرار، ومن أراد قربي كنت له الظهر والسند طول الأيام إلا أنهم يستحقون تلقين الدرس بألاف المرات.

فأي حزن على من خان وداس على الجرح بالطعن والطعنات وكل خائن يباع بسوق الرخص بلا مشتري قد رمى الذي لا قيمة له بإحدى النفايات.

لم يفكر الأب الزوج في التقرب مني لا في العلن ولا في الخفاء فقد قطع الوعد والزم على الالتزام فأنا من تعجبه وأحبها رغم أنني من سن أصغر أولاده.

فكل قوي في الظلم ضعيف جبان وكل مشارك فيه ظالم كظلم الظالم بلا خجل ولا حياء.

حياتي الآن تشبه كثيرًا ما كانت عليه في السابق، فليس هناك ما يجعل الحياة جميلة ومختلفة والأمل فيها عالي وقد وصل سقف العنان.

فرغ المنزل وعادت كل بنت لمنزلها وبقيت سوى أنا مع زوجة الأب الزوج وهو ولا رابع بيننا.

بدأت أشعر بوحدة شديدة لم أعد أتحملها مع أنني منذ الولادة لوحدي ولا أحد بجانبي أو يشاركني ما أنا فيه وما أشعر به إلا أن هذه الوحدة التي تزداد كل يوم أصبحت تخنقني وبشدة، وأنا لم أعد أطيق هذا الألم والشعور والاحساس.

يومي يوم عادي جدًا عبارة عن الاستيقاظ باكرًا، وخدمة الزوجة المشلولة، وتجهيز الأكل وتنفيذ الأوامر وكل الطلبات، فأنا الخادمة كما بالأمس كما اليوم لا شيء قد تغير وأصبح على أفضل حال.

ومن البيت لا أخرج نهائيًا إلا أنني قررت أن أعود من أنا معهم على خروجي رغم اعتراضهم إلا أنني كل مرة كنت أتحجج بأمر ما وبحاجتي لأغراض المنزل التي بدونها لن يتم تجهيز شيء، والزوج في محله تارة وتارة أخرى بالمزرعة فمعظم الوقت هو بالخارج.

بالفعل خطت قدماي عتبة البيت المنحوس المظلم بأناسه وبما فيه، والسوق أكثر الأماكن التي أذهب إليها وتقريبًا باستمرار أتقابل مع أبي واخوتي صدفة بالسوق ومع أنهم يرونني إلا أنه لا أحد يتقدم نحوي للتحدث معي، والاطمئنان على حالي ووضعي الذي لا يعلمون عنه شيء، فكما قال أبي وقالت أمي قبل رحيلي عديد المرات أنني لم أعد أنتسب إليهم بأي شكل من الأشكال وهم فعلًا يطبقون ما قيل تطبيق الحريص الذي لا يخرج عن الوعد والقانون وثالثهما الالتزام.

رغم تجاهلهم لي إلا أنني لا زلت أحن إليهم وقد ذهبت كذا مرة إلا أنه لا أحد يفتح الباب، وفي مرة أخبرتني أمي من وراء الباب وأمرتني أن أرحل ولا أعود، وأنا أود معرفة ما كل هذا الحقد والكره الذي لا أعلم سببه الحقيقة، فمن غير الممكن أن يكون السبب سوى أنني الفتاة التي لم يرغب بها أبي ولم يحب قدومها في أي وقت من الأوقات.

لم أتوقف عن محاولة زيارتهم ورؤيتهم وكل مرة كان الطرد أقوى رد منهم، وأنا لهذا الطرد أنسى وأكرر العودة إلا أن سئمت صراحة وأقسمت أن لا

أعود ثانية مهما حصل ومهما يكن، فالذي لا يرغب في رؤيتي لن أريه وجهي ثانية وأن كان الظرف ضروري ولا بد منه.

بقيت على هذا الحال عدة شهور فحياتي سوى خدمة من أنا معهم لا أكثر ولا أقل، إلى أن جاء اليوم الذي عاد الأب الزوج إلى المنزل فاقدًا للوعي يحمله الجيران فقد وقع من سور المزرعة.

أصبح حاله كحال التي وجدتها منذ الدخول الأول مشلولة قعيدة لا تقوى على التحرك البسيط الخفيف حتى.

فزاد حمل خدمة اثنين من المرضى ولم أعد أقوى على خدمتهم، وسئمت من كل هذا الوضع، وصراحة بدأت التفكير في الانصراف والذهاب بعيدًا عن الجميع دون أن أخبر أحد أو اترك مجال وثغرة لمعرفة طريقي وأين أكون.

فكرت في الرحيل والتفكير في هذا الأمر أصبح بشكل مستمر إلى أن قررت واليوم واللحظة التي أقرر فيها أشفق على من سأتركهم مع أنهم لديهم ستة بنات وستة أولاد الذين هم الآن كل واحد بحياته ومشاغله، والجميع بعيدون عنهما إلا أنا من تحملت الذي ليس لها أن تتحمله.

لم أرد الرحيل مثل الذي سرق شيئًا وسيغادر هاربًا مُخادعًا خائنًا مُجرمًا بالنهاية.

قررت أن أتكلم مع الزوجة وأخبرها برحيلي الذي قد حان، ومع أنني لا أدرى إلى أين سأذهب ومن أي اتجاه أتجه فأنا لا أعلم شيء عن هذه الحياة.

تحدثت مع خليقة وأخبرتها بشكل غير مباشر بأنني سأرحل من خلال أنني بدأت أشكوا همي وحالي الصعب، وعدم قدرتي على كل هذا وهي بكل هدوء

وصمت مريح تسمعني وفي الأخير قالت دون أنانية: أنتِ يا نكيدة لا غيرك من تستحق حياة أفضل والمسؤولية التي على عاتقك أنا لن أتحملها لو كنت مكانك، إلا أنك أين ستذهبين وكيف ستعيشين؟ وأنا أقترح عليكِ أن تبقي لفترة قصيرة خلالها سترسمين طريقك، وتعرفين اتجاهك، وترتبين كل ما يجب ترتيبه للحياة المستقبلية التي تحلمين بها.

وجدت جانب كبير من كلامها صحيح ولا يشوبه أي غلط فما قالته هو الذي أقوله لنفسي دومًا عند كل تفكير بالمغادرة والرحيل وحقيقة من أين الاتجاه وإلى أين وكيف سأعيش والحياة بالخارج صعبة وتحتاج إلى قوة وشجاعة ومال وترتيب مُسبق؛ لتكون الأمور على ما يرام وفي النطاق الذي يضمن لي الأمان والحماية والطمأنينة.

اقتنعت بكلامها وأجلت فكرة رحيلي المبكر وبقيت ما بقيت وأنا سوى في خدمتهما فهي المسكينة والأب الزوج مسكين وأنا أشفق على هذه وذاك.

خدمتي لهما بذلك القلب الصادق جعلهما يعاملانني المعاملة التي حلمت بها ورغبت بها من أبي وأمي واخوتي، فلم أعد أسمع تلك الكلمات الجارحة ولا الألفاظ القاسية الموجعة، ولا الضرب الذي كسرت أضلعي بسببه، وكل من هذا، ففي الأخير هناك من يقدر، وهناك من لا يقدر وهناك من يقول لك شكرًا بنهاية النهار، وهناك من يكافئك بألم وجروح لن تجف دمائها وأثارها بعد سنوات.

أصبحت أنا هي سيدة المنزل وأنا من أقرر كل شيء فلا يوجد أحد غيري قد تولى شؤون وأمور من هو مريض ومن هي مريضة وأمور المنزل من أصغر جزئية إلى أكبرها.

أولادهم يزورونهم في السنة مرة فهم يهربون؛ لكي لا يتولوا أمر خدمتهم فهم مع حياتهم ولا يعلمون كيف الحال معهما، وهل الوضع تحت السيطرة من طرفي أم أن الأمور قد انفكت حبالها ومساميرها.

وأنا صراحة لا أحب قدوم أحد فهم لا يتوقفون عن ازعاجي ورميي بالكلمات والألفاظ التي توجعني وتجرحني فأنا مرتاحة دون تواجد البقية.

الحياة معي ومعهم مستمرة على حالها الذي عهدت عليه والأحزان والمصائب لا تغيب عن عالمي مهما حاولت تغيير الذي أنا أجاهد في تغييره فلعنة النكد تلاحقني من اسمي المنحوس.

مات الأب الزوج في ليلة هادئة خفت فيها وارتعبت وحبست نفسي في الغرفة إلى طلوع الشمس، إلى أن نادتني خليقة وطلبت مني تغسيله وتجهيزه للدفن.

فأنا الفتاة الصغيرة التي لم تتجاوز الخمسة أو السادسة عشر سنة بعد.. أنا التي لا أعرف أي شيء عن أي شيء، فكيف أتولى هذه المهمة التي لا أفقه عنها شيء، وأنا التي لم يعتبرها زوجها زوجة له في أي لحظة من اللحظات ولا أنا التي اعتبرته سوى الأب الزوج الذي لا يصلح أن يكون زوجًا حقيقيًا في أي ساعة من ساعات قدومي إلى هذا المنزل.

بقيت خليقة تقنعني مرة وتضغط عليا مرة أخرى إلى أن انتهى الأمر بالأخير بأنني سأغسله وهي ستكون مرافقة لي مشاهدة لا أكثر لتساعدني بالتوجيه والإرشاد واتباع الخطوات الصحيحة في غسل الميت، الذي مات فجأة وهو الذي زاول الفراش لأزيد من سنة أو أقل بشهر وأيام.

غسلته بالشجاعة التي لم أكن أعلم أنني أمتلكها، وبالصبر المعروفة به، وبالإتقان الذي لم أعرف غيره بهذه الحياة.

بعد أن غسلته وكفنته وبقي سوى أرتب المنزل وأفرشه للبدء في استقبال الناس بعد اخبارهم بعد إتمام كل هذه الترتيبات.

تفاجأ الأولاد وكل من قدم للجنازة بانت له الأمور أنها تحت السيطرة والميت لا ينقصه شيء سوى الصلاة عليه ودفنه لا غير ذلك.

كالعادة لا وجود لأهلي في هذه الجنازة، فأنا التي لا أهل لها ولا من يهتم لأمرها من الذين تركتهم ومن الذين أنا معهم.

مر على الجنازة يومين، والأولاد لم يغادر فيهم أحد فهم يريدون تحصيل ما تركه والدهم المقتدر.

خليقة لم تتحرك ولم تقدم للذين هم جالسون ينتظرون أخذ الخير من جيب الميت.

في الأخير غادر من غادر وبقي من بقي، والذي بقي عنده أمل على الأخذ بالدقيقة الأخيرة والأم خليقة مصرة على عدم فتح الصندوق وكشف المتروك مهما كلف الأمر.

تشاجرت مع بناتها وأولادها وانصرف الجميع غاضبًا مهددًا بعدم الرجوع وهي لم تتأثر؛ فقد تعودت على فراقهم واهمالهم وعصيانهم.

أنا قريبة منها نوعًا ما فكان لا بد أن أسألها عن الكثير فلما عدم الاستجابة لتوزيع الميراث وإعطاء كل ذي حق حقه.

وكان الرد: لا زال الوقت مبكرًا فلم يمر على وفاة والدهم ذلك الأسبوع أو الأربعين.

وأنا سكت فقد تلقيت الجواب الذي ليس لي بعده قول شيء آخر غير الذي قيل، وسمعته من خليقة.

استمريت في خدمتها كما بالأمس وتخطى الميت الأربعين فاقترحت عليها رمي ما يستحق رميه وإعطاء ما هو بحالته الجيد للأولاد فالذي مات ترك لبسًا يليق ولبسًا لن تستقبله سوى النفايات.

أيدت خليقة كلامي وقالت: استدعي الأولاد لأخذ ما يردون من لبس أبيهم، ولكن قبل هذا أخفي هذا الفرش الذي كان ينام عليه الأب الزوج أبو جواد عن الأنظار.

فاستغربت وقلت: لما يا خليقة؟ فأنا كنت سأقترح عليكِ أن أمزقه ونرميه، إلا ترين لونه كيف تغير والقماش أصبح رقيقًا هشًا قابلًا للتمزق في اللحظة التالية مباشرة؟

صرخت فجأة في وجهي وقالت: لن ترمي شيئًا، وبالأخص هذا الفرش يكفي أن تضعيه بغرفتك فوق السرير الذي فوقه الأفرشة الأخرى وأتركيه دون أن يتم التصرف فيه بغير ذلك.

حاولت حمل الفرش إلا أنه كان ثقيلًا جدًا فجريته ببطء إلى الغرفة الأخرى، ووضعته بالمكان الذي قالت عنه خليقة وغطيته بذلك الغطاء لكي لا يكون شكل سرير الغرفة غير لائق.

جاء الأولاد وكان لقائهم هذا عبارة عن شجار قوي وكبير، غادروا بسببه والكل غاضب ورافض أخذ الذي وضعته والدتهم لأخذه فهم يريدون المال لا القماش واللباس.

تركوا الذي وضعته أمامهم ورحلوا ككل رحيل هم راحلوه.. وبنهاية المطاف بقيت سوى أنا وخليقة التي أحبتني ذلك الحب الذي لم أتوقعه يومًا وأخيرًا هناك من يحب نكيدة ويفكر فيها ويخاف عليها.

وفي ذلك اليوم المشمس وأنا جالسة معها بحديقة المنزل سألتني عن ذلك الأمر الذي نسيته منذ فترة ولم أعد أفكر فيه، فالأحداث التي حدثت جعلتني أنسى ما أردت فعله وتطبيقه بإلحاح وإصرار كبير في ذلك الوقت الذي مر.

وأنا ككل مرة أجيب سوى بكل صدق وصراحة شديدة بأنني في الوقت الحالي لا أفكر وأن فكرت فأنك يا خليقة ستكونين معي مرافقتي التي لن أتركها ورائي مهما كان.

ابتسمت لي وطلبت احتضاني فهي الأم التي بدأت أشعر بها والتي أفتقدها منذ يومي الأول في هذه الحياة.

الأب الزوج المتوفي كان رجلًا بخيلًا جدًا فلم يعالج خليقة العلاج الذي تستحقه وما ساءت حالتها إلا لأنه تركتها من دون علاج، فما كان إلا أنها فقدت الحركة بعد أن كانت بحاجة إلى علاج ضروري ومستعجل.

أنا لا أعلم ما الذي تركه الأب الزوج فهل ترك مالًا كثيرًا أو ترك القليل كل هذا لا أعلم عنه شيء فأنا سوى التي تخدم من هم بالمنزل ساكنون.

قلت لخليقة: الذي مات فقد مات وذهب هو وبخله بعيدًا عنا، فلما لا نذهب إلى المدينة أنا وأنتِ ونسأل عن طبيب جيد يعالجك ويعيد لك الحركة والحياة؟

فرحت بفكرتي والفرح الأكبر أن هناك من فكر فيها وفي صحتها وفي أن تعود للحياة بعد طيلة هذه السنوات.

فعلًا ذهبنا إلى المدينة ووجدنا الطبيب الجيد بعد بحث طويل جعلنا نسافر عديد المرات إلى المدينة.. هذا الطبيب أعاد لخليقة الأمل من جديد وقال: شفائك متوقف على عملية يتم اجرائها من خلالها تعود صحتك كما كانت بالسابق، فلن تحتاجي للكرسي المتحرك هذا ولا للبقاء نائمة طوال الوقت والعام. العملية مكلفة إلا أن نسبة النجاح فيها عالية جدًا وأنا ما كان عليّ سوى تشجيعها واجرائها في أقرب وقت ممكن.

وافقت خليقة على العملية، وكانت لا تُريد أحد يعلم بهذا الأمر فالجميع سيعارض؛ لأن تكلفة العملية ستسدد من مال الميت.

فرحتي أنا وخليقة بهذا الخبر جعلنا نتجول في المدينة لساعات قبل العودة إلى القرية، أنا بدأت أرى العالم الآخر الذي لا يشبه عالم القرية في أي شيء، أناس بهيئة جميلة ونظيفة جيدة، وعمارات عالية، وشوارع تلمع، وطرقات مسطحة ومتساوية وكل شيء جميل وجذاب يخطف القلب والأنظار.

ونحن نسير في المدينة طلبت مني خليقة أن تدخل إلى هذا المحل الذي كان يبيع الهواتف المحمولة؛ لكي تشتري لي هاتفًا كبير الحجم، جميل اللون والشكل.

فرحت بالهاتف كثيرًا فلم أتوقع يومًا أنه سيكون لي هاتفًا مثل الذي أراه في التلفاز.

خليقة جعلتني سعيدة جدًا بهذه الهدية الغالية المميزة، فنحن بحاجة إلى التواصل مع الطبيب والتنسيق معه فلا بد من وجود هاتف.

طلبت مني خليقة الأم إخفاء الهاتف عن أنظار الآخرين لتسير الأمور على ما يرام دون مشاكل أو خلافات مع أي أحد.

أخذ مني تعلم استعمال الهاتف فترة إلا أنني تعلمت أساسيات تشغيله، ومع كل زيارة لنا للمدينة كانت خليقة الحنونة تشتري لي شيئًا جميلًا مميزًا.

لم أعد أرتدي تلك الملابس الذي اختفى لونها وتغير شكلها فملابسي الآن ملابس جديدة وجذابة تناسبني وتناسب جمالي هذا.

بدأت حياتي تتغير للأفضل، وبدأت أحب الحياة من الجانب الذي حلمت به فالمدينة مكاني الذي يليق بي كما تقول لي خليقة دومًا.

رغم أخذي بنصيحة خليقة ورغم إخفاء كل الأشياء التي أصبحت أملكها من ملابس وأشياء قيمة تناسب أنوثتي وسني وما أستحق إلا أن أهل القرية بدأوا يتكلمون هنا وهناك عن تغير شكلي وهيئتي ووصل هذا الكلام لأولاد خليقة الذين لم يترددوا لحظة واحدة في القدوم لمحاسبة والدتهم وطردي أنا من المنزل والاستيلاء عليه.

رغم كل الهجوم والظلم الذي تعرضت له من أولاد خليقة الاثنا عشر إلا أنني لم أشعر بالحزن ولم أكن الطرف الوحيد الضعيف فخليقة كانت تدافع عني باستمرار، وواقفة في صفي وبجانبي ووقفت في وجه الجميع إلى أن انتهى بينا المطاف إلى طردي من المنزل، إلى أن اتخذت خليقة قرارها بأنها ستخرج معي ولن أرحل لوحدي وهذا ما كان.

جهزت أغراض الرحيل وأحضرنا شاحنة لنقل ما تستطيع نقله ونحن لهذه اللحظة لا ندري إلى أين نتجه وإلى أين سنذهب.

طلبت من خليقة البقاء بمنزلها فلا أحد طردها ولم يطلب منها لا الصغير ولا الكبير المغادرة، فالأفضل بقائها بمنزلها وتجنب التشرد والمعاناة في هذا السن.

وأي مكان سأشعر فيه بالراحة والأمان وأنتِ لست فيه يا نكيدة، فلم تعد حياتي هي حياتي من دونك ولا المكان سيكون ذلك المأوى والمكان بدونك يا نكيدة، وطريقك طريقي ومن يطردك فقد طردني، ومتى رحلتي فأنا راحلة معك يا حبيبتي، فلا تناقشيني ولا تطلبي مني البقاء فلن أبقى وأنتِ غير موجودة مهما كان فلا تحاولي اقناع الحي بالموت أو الانتحار.

قررت أن لن أتركها ورائي فالقادم خاص بنا ويعنينا نحن الاثنين فقط، فلا حياة لإحدانا دون الأخرى، فقد اقتنعت واقتنعت وكان القرار قرارًا واحدًا صائبًا لا ثاني له.

سألتها: أين الوجهة يا أمي؟

قالت: إلى المدينة يا عزيزتي فهذا هو عالمك الجديد ورحيلنا إليه لا إلى غيره من القرى.

ركبنا الشاحنة الناقلة للأغراض، فلم يكن هناك أحد لتوديعي ولا لتوديعها ولم أفكر في الذهاب إلى أمي ولا إلى أبي فلن أحاول هذه المرة والكل قد نسى نكيدة وأكمل الحياة.

والشاحنة تتهيأ للمغادرة وبمجرد ما أن وصلنا إلى مخرج القرية سألتني خليقة عن الفرش الثقيل الذي رفضت تواجده بالمنزل من اليوم الذي مات فيه الأب الزوج.

قلت لها بأنني تركته مكانه فلن نتمكن من أخذه معنا لكبره وثقله وأن أخذناه فإننا سنضطر على التخلي على الكثير من الأغراض فما العمل وماذا تريدين.

طلبت خليقة من السائق العودة في الحال إلى المنزل، إلى أن دخلنا المنزل وطلبت من السائق اخراج الفرش ووضعه بالشاحنة.

تركنا ما تركناه من ضروريات وبالمقابل أخذنا الفرش.

كان لا بد لي أن أسألها عن السبب في اختيار الفرش المتسخ عن باقي الأغراض الضرورية، فسألتها وكان الرد: فيه ريحة المتوفي وهو من جهازي وله ذكرى وذكريات فلن أتمكن من تركه ورائي مهما كلف الأمر.

أخذنا ما أرادت خليقة أخذه وأكملنا السير باتجاه المدينة، وأستغرقنا خمس ساعات ووصلنا للمكان الذي لا نعرف فيه أي أحد.

لم نرتب لسفرنا من قبل ولا لتواجدنا بالمدينة وإنما قرار الاتجاه نحو المدينة كان قرار لحظي كقرار طردي ومرافقة خليقة لنكيدة أينما ذهبت وحلت.

وصلنا لهذه المدينة الكبيرة التي نجهل فيها الكثير وإنما نجهل كل شيء فيها، كنا بحاجة إلى مكان نقيم فيه، فأغراضنا لا تزال بالشاحنة وصاحبها يود الانصراف والعودة إلى القرية.

ونحن في إحدى الشوارع المكتظة بالمدينة صادفنا رجل طيب الملامح مريح التعامل حسن اللفظ والكلام صاحب إحدى محلات بيع لوازم البناء هناك.

طلبت كوب ماء من أجل الأم خليقة، إلى أن احضر كرسي لي وطلب مني الجلوس، وأخذ دقائق من الاستراحة إلى أن تم فتح موضوع قدومنا إلى هذه

المدينة للاستقرار ولا نعلم بعد ماذا نفعل وأين سنقيم وصاحب الشاحنة يصرخ وغاضب من هناك يريد الرحيل.

طلب هذا الرجل الطيب "العم وجيه" من السائق وضع جميع الأغراض التي بشاحنته بهذا المحل المقابل، الذي فتحه العم الفارغ من كل شيء سوى البعض من الكراتين الخاصة بتجارته.

تم تفريغ الشاحنة ووضع كل أغراضنا بالمحل عند هذا العم الطيب وأنا وخليفة قد استضافتنا زوجة العم، وأقمنا عندهم يومين، وانتقلنا إلى منزل قريب من هؤلاء الناس الجميلة الطيبة، واستأجرنا منزل متواضع بسيط وصغير يأويني أنا وخليفة وبشكل مؤقت إلى أن نرى ماذا سنفعل فيما بعد.

بقي على عملية خليفة سوى أسبوع ولحد الآن لم يتم تجهيز المبلغ كاملًا، لم أردها أن تفقد الأمل ثانية بعد أن حصلت على فرصة عودة الحركة والمشي إليها من جديد.

في الأخير جمعت خليفة كل الذهب الذي تملكه وقالت نبيعه ونسدد تكلفة العملية، وهذا ما كان فلا حل لدينا غيره في الوقت الحالي وفي أي وقت غيره.

ذهبت أنا وخليفة؛ لبيع الذهب ولم نرد الاستعانة بأي أحد أو طلب المساعدة لكي لا نتعرض للسرقة والنصب وغيرها.

لم نبع الذهب كله اكتفينا ببيع الذي تحتاجه العملية الباقي أصريت أن تحتفظ به خليفة فلن تتوقف الأزمات هنا ولا تصفعنا الظروف سوى هذه الصفعة وفقط.

حان وقت دخول خليقة لغرفة العمليات ولم يكن هناك أحد بجانبها غيري، رافقتها من اللحظة الأولى إلى خروجها من العمليات، إلى البقاء معها في المستشفى تلك أيام المراقبة الطبية والعودة سويًا إلى المنزل.

وخلال شهرين لا أكثر تمكنت خليقة من المشي من جديد بشكل خفيف، إلا أنها تمشي ولم تعد بحاجة مساعدة أحد للدخول إلى الحمام أو لبس الحفاظات ثانيًا، فكل هذا تم التخلي عنه وهي اليوم لها أن تقف وتمشي وتعتمد على نفسها.

كان لا بد بعد نجاح العملية واستعادة خليقة قدرتها على المشي التفكير في العيش في هذه المدينة الواسعة التي بها بشر لن نتمكن من عدهم أو معرفة كم إنسان يمشي على أرضها.

أنا بحاجة إلى عمل؛ لنتمكن من تغطية مصاريف الأكل والشرب على الأقل، ودفع مبلغ الايجار وغيرها من المصاريف الضرورة التي تكفي متطلبات الحياة هنا بالبسيط أو أقل من البسيط فقط.

بدأت أبحث عن عمل هنا وهناك، وأنا في الحقيقة أجهل من أين الاتجاه أو ماذا بإمكاني أن أعمل، فلا أنا المتعلمة التي لها أن تحصل على فرص جيدة في العمل، ولا أنا الذي تعرف ما تعرفه لتقبلني الوظيفة ومديرها.

أنا لا أجيد سوى التنظيف والمسح والطبخ ورعاية من هم لا يقوون على رعاية أنفسهم، فماذا أعمل خادمة في البيوت أو مساعدة في مطبخ أو راعية لمسن أو مسنة؟

بدأت أبحث دون الخروج عن نطاق الاقتراحات الثلاث وجدت فرص كثيرة للعمل كخادمة في البيوت ولأنني من القرية فأنا مناسبة جدًا؛ فالكثير يفضلون

بنات القرية للعمل كخادمات عندهم ما السبب لا أدري إلى الآن إلا أنني سأكتشفه بكل تأكيد.

من حظي الجيد في البداية وجدت امرأة في السبعين من عمرها مريضة سكر وتسكن لوحدها في إحدى المناطق الراقية بالمدينة وتبحث عن خادمة ومن تعينها على العيش بمساعدتها ورعايتها.

دون تردد أو تفكير طويل وافقت واتجهت إلى منزل هذه العجوز، إلى أن وجدتها إنسانة شديدة اللسان، تتكلم بصوت عالي، وصعبة في التعامل، لم أتراجع وقبلت بالعمل عندها فأنا قد عشت أشد هذه القسوة بمراحل منذ صغري.

كنت قليلة الكلام معها وقليلة الرد على اهاناتها وتجاوزاتها فأنا التي تريد دخلًا تعيش منه مع الحبيبة خليقة.

أخرج من المنزل باكرًا وأعود في أوقات متأخرة فلا أريد أن أنام عند هذه العجوز فأمي خليقة لوحدها، ولا يمكنني تركها وأنا أفضل العمل لساعات والعودة في الليالي المخيفة، أفضل من البقاء ليلًا نهارًا مع التي لا أطيع كلامها وتصرفاتها.

كنت اتعب كثيرًا في خدمة هذه العجوز إلا أنني كنت أتقاضى أجرًا ليس بالأجر الممتاز إلا أنه يكفيني ببعض الصعوبة للشهر القادم.

تحملت ما استطعت تحمله ومع الوقت بدأت ألاحظ سيدتي احسانة هذه العجوز التي لم أكن اتلقى منها إلا كل صعب وصعب، بدأت ألاحظ أنها تغيرت جدًا، لم تعد مثل الأول وكما في السابق تهيننني وتشتمني وتعاملني بقسوة وجفاء لا مثيل له.

وكأنها أدركت أنني التي لا أستحق هذه المعاملة، تعاملني بحب كبير وتعتذر مني بين اللحظة والأخرى ولا تتوقف عن طلب السماح، وأنا طيبة القلب رقيقة المشاعر والاحساس أقبل ما أقبله من غيري وأسامح في لمح البصر.

قررت السيدة احسانة أن يكون راتبي في الشهر مضاعف عن الراتب الذي أتقاضاه، وكل مساء عند مغادرتي تعطيني ما تبقى من الأكل لخليقة.

ليس هذا وفقط، فأنا مصدومة ومتفاجئة فكيف للشخص القاسي العنيد الصعب أن يتغير ويصبح شخص جيد ورائع ولا مثيل له، فهذا لأنني أنا التي سكت احترامًا لها وتجاهلت تصرفاتها وتعاملاتها الظالمة وعملت بجد واجتهاد مضاعف لتكون سعيدة ومرتاحة وفي أحسن حالاتها.

نيتي في التعامل معها والعمل عندها جعلها تصبح الإنسانة التي تشعر بصدق نيتي ومشاعري في الوقت الغير متأخر، واللحظات الضرورية التي كنت بحاجة إلى معاملة طيبة وكلمة لا تقل عن طيبة المعاملة.

تقربت منها وتقربت مني وخليقة أصبحت ترافقني عند السيدة إحسانه في الأوقات والأيام التي لا تقوى فيها على البقاء وحدها.

ليس هذا وفقط، فأنا وخليقة ننام عند احسانة عندما يتأخر الوقت عن العودة إلى المنزل خاصة في فصل الشتاء إلى أن تغيب الشمس مبكرًا ويكون الجو صعبًا والخروج سوى للمجانين.

أكلنا شربنا نومنا لبسنا وما نحتاجه من عند السيدة احسانة فيا سبحان الله على الفرج الذي بعته الله لنا من خلال أشخاص هم بالنهاية معنا وإلى جانبنا مهما كانت البدايات معهم صعبة ومستحيلة لا توحي بأن كل هذا سيحدث وسيتغير في وقت قياسي.

احسانة سيدة متعلمة وراقية، وهي أرملة توفي زوجها منذ سنوات طويلة قاربت العشر سنوات وليس لها أولاد، فهي الأم التي توفت لها بنت في عمر الخامسة عشر سنة أثر مرض خطير، وهي تعيش طيلة كل هذه الفترة لوحدها ولا أحد يزورها فهي لا تقبل أحد؛ لأن كل الأهل والمعارف طامعين في مالها، فزوجها ترك لها أموال كما تقول هي دومًا وهي كانت تعمل مديرة مدرسة اجنبية التي اكتشفت فيما بعد أنها مدرسة زوجها.

لم تكن نكيدة تلك الإنسانة الطامعة في شيء من غيرها أو التي تستعمل أسلوب التسول ولا التي تحسد من تدخل بيتهم وتصاحبهم ولا حتى من تصادفهم سوى لوقت قصير جدًا لا يصل إلى دقائق أو ساعة من الساعات.

تعلمت القناعة لا من أحد من نفسي فأنا من عشت في بيت أبي لا أكل حتى أشبع ولا أنام في ذلك الدفء الذي يجعلني أنام لساعات طويلة ولا في تلك الراحة التي تنعم بها أي بنت في بيت أبيها.

الذي افتقده منذ صغري جعلني سوى أجاهد وأكافح بكل ضمير وصدق وإخلاص لا غير ذلك.

ولا زلت أتعامل مع الناس بحب صادق خالٍ من الأهداف والغايات، اتعامل مع الذين أصادفهم بحياتي بكل طيبة وأن كانت معاملتهم العكس وما يحدث معي ومن تغيروا للأفضل معي جعلني أتمسك بشخصيتي هذه وأبقى على ما أنا عليه من نوايا وقلب نظيف.

انتهت مدة ايجارنا للمنزل واستقريت أنا وخليقة بمنزل شعرنا به بدفء عائلي، وببهجة قد افتقدناها وهو منزل السيدة جميلتي احسانة.

نقلت جميع الأغراض التي لا تستطيع خليقة التخلي عنها لأي سبب كان ووضعتها بقبو منزل سيدي احسانة.

لم نرد في بادئ الأمر التنقل إلى منزل عملي للاستقرار فيه، إلا أن احسانة كانت كل مرة تعرض علينا البقاء عندها ونظرًا لبقائنا بين الحين والآخر تعودنا عليها وأصبحنا أسرة واحدة لا يجمعنا سوى الانسجام والدفء والحب والراحة والاحترام.

أقمنا معها ما تيسر لنا في الإقامة معها والعيش معها كان له طعم خاص ومختلف وممتع في الوقت ذاته فهي التي لا تتوقف عن فعل كل ما يسعدنا، فلا تستحي من خروجي معها في الأماكن الراقية رغم بساطتي في التعامل إلا أنها تحرص كل مرة في أن تصطحبني معها على أن أكون في كامل زينتي وأناقتي وبكل الجمال كنت أظهر معها وبصحبتها.

خليقة لم تكن تحبذ الخروج دومًا، إلا في أوقات قليلة وخاصة بالأماكن القريبة جدًا من المنزل، لماذا لا أدري ورغم كل سؤال واضح وغير واضح كانت تحتفظ بالإجابة عندها ويكون الرد بالسكوت مرة، ومرة تقول أنا مرتاحة لا داعي للضغط عليّ يا نكيدة.

السيدة احسانة كانت كريمة جدًا ورغم اقامتي أنا وخليقة عندها وهي من تتولى مصاريف واحتياجات الجميع إلا أنها كانت تقدم لي الراتب كل آخر شهر، ومع أنني امتنع إلا أنا تقسم بعدم عودة النقود إلى المحفظة.

راتب فوق راتب إلى أن جمعت مبلغ معتبر يسد لي حاجة مهمة وأول فكرة خطرت على بالي هو أن أرسل أمي الأولى وأمي الثانية لأداء مناسب العمرة فأنا أريد أن أرد الجميل للتي وقفت بجانبي، وللتي نفتني من حياتها.

سعدت خليقة كثيرًا بهذه الهدية وسافرت بعدها باليوم الموالي إلى القرية مع خليفة لمقابلة أمي.

سافرنا، ومن نقلنا إلى القرية هو سائق السيدة احسانة، فلم يكن السفر للقرية متعب ككل مرة بالعكس لم نشعر بالطريق والسيارة مريحة وفاخرة ومكيفة وكل ما فيها يبث الراحة في الجسد والنفس.

بمجرد دخولنا إلى القرية وجدت الكبير والصغير واقفون ساكنون يشاهدون مرور وسير السيارة من بعيد ومن قريب ومن الأبواب والنوافذ إلى أن وصلنا إلى منزلنا، وجدت أولاد يلعبون أمام الباب وهم أولاد أخي الذين لم أراهم إلا هذه المرة الأولى.

وأنا بالطريق كنت متحمسة جدًا للقاء أمي، والبقية واخبارها بالخبر السعيد لكن بمجرد وصولي شعرت بعدم الراحة وبدأت أشعر برغبة في التراجع إلا أنني ليست الشجاعة وليس كأي شجاعة، شجاعة تلك التي ستستقبل المتوقع والغير متوقع بصمود وثبات عالي جدًا.

لم أدخل مباشرة كابنة المنزل عند قدومها وإنما انتظرت بالخارج، وأرسلت طفلًا من الأطفال الذين كانوا بالخارج الذين هم أولاد أخوتي.

بقيت واقفة أنتظر دقيقة، دقيقتان، والدقيقة تكبر وتزداد، أرسلت الطفل الثاني ودخل ولم يخرج بعد الدقيقة الخامسة ولا الدقيقة العاشرة.

هنا لم أتردد وقررت الدخول مهما كانت ردة الفعل، فأنا لا زلت أنتمي إليهم وواحدة منهم وأن قالوا عكس هذا ألف مرة، فالقول جميعنا نقول والحقيقة واقع لا هروب منه.

وأنا أضع خطوتي الأولى نحو الداخل وجدت أمي واقفة وسط المنزل بالقرب من الباب تأمرني بالعودة إلى الوراء خوفًا من أن يلمحني أبي.

نظرت إليها بعمق وحنين، فأنا التي أشتاق واشتقت إليها ولن يكفيني سوى أن ارتمي في أحضانها للمرة الأولى، نعم للمرة الأولى أريد أن أجرب ذلك الحضن فهل هو نفسه حضن احسانة وخليقة أم حضن الأم الحقيقية لا يشبه أي حضن في الوجود.

وأنا أستعد للتقدم نحوها وتطبيق الذي أرغب فيه تم قفل الباب في وجهي بشدة لم تجعلني أسقط وإنما أنهار وقد لن يكون لي نهوض بعدها.

وأنا وراء الباب أخاطب أمي وأقول: ماذا يا أمي؟ ما هذه القسوة وما هذا الكره؟ فأنا ابنة بطنك الأنثى الوحيدة.

ماذا فعلت يا أمي لتعاقبيني هذا العقاب القاسي الذي فاق عقاب المجرم القاتل.

مسكت خليقة يدي وضمتني إليها وعادت ليا الحياة من حضن لو أعطته لي أمي لنسيت ما نسيت وعشت تحت أقدامها العمر كله.

هذه المرة أنا لم أودع القرية وداع الراحل العائد في يوم من الأيام وإنما وداع الراحل بلا عودة مهما حصل وحدث وكان.

رحلت وقد سقيت زرع أبي بدموعي الحارة التي ستكون سم يقضي على الجميع.

وداعًا، فالوداع هذه المرة وداع أخير.. وداع فيه دفنت من تركتهم ودفنت نكيدة ومن تكون.

احسانة وخليقة وأنا مكان من طردتني سافرنا لأداء مناسك العمرة فكم كانت سفرية ممتعة ومريحة، حقيقة الحياة قد تغيرت معي التغير الذي لم أتوقعه يومًا ولم أحلم به لا في ذلك اليوم القريب ولا في ذلك اليوم البعيد جدًا.

رغم كل جميل أنا أعيشه وسعيدة به إلا أن جرحي مع أهلي لم يجف ولم تتوقف دمائه، وإلى الآن رغم رحيلي منذ سنوات ورغم بعدي الواسع الكبير عنهم وعدم رؤيتي لهم لا في الصباح ولا في المساء، ولا عند بداية الشهر ولا عند نهايته إلا أنني لم أتمكن من نسيان الذي هو في الأصل لا نسيان له، فجرح الأهل أثر يبقى جديد وحديث ولا ينسى، وكيف ينسى وأنا أتألم منه بين الحين والآخر وبين اللحظة والأخرى.

من معي يحاولون دون توقف في فعل كل ما يجلب السعادة وأنا سعيدة لست حزينة، إلا أنني اخاطب نفسي كثيرًا وأسألها الأسئلة التي لا إجابة لها وهي من تجد لهم إجابات يزيلوا ذلك الوجع ويمحوا كل ذكرى أنا أتمنى مسحها من ذاكرتي ومن حياتي للأبد.

كيف يجف الجرح وكرههم لي يزداد يومًا بعد يوم، وكيف أزيل الذكريات السوداء وهم لم يلمسوا خدي لمسة الاعتذار والبدء من جديد.

حقيقي ما هذا وما كل هذا ولما كل هذا؟ عند كل فراغ وجلسة فردية مع نفسي لا اجدها سوى تعيد الشريط كل مرة، وبين المرة والمرة يتم عرضه بطريقة مختلفة وما هي بالمختلفة والوجع هو هو والحال معهم بقي على حاله دون تغيير.

هل أستمر في الذهاب إليهم والعودة عند كل اشتياق وكيف أنا أشتاق للذين هم لا يشتاقون إليّ.

عجيبة الحياة، والعجيب معها من يقيمون بالحياة، والعجيب الأكبر لأهل وأحباب ما هم بأهل ولا هم من الاحباب.

أعيش من دونهم وبالبعيد عنهم حياة، وأجمل حياة إلا أن هناك ما ينقص حياتي هناك ما يوجعها عند سهرة من السهرات.

رحلت لكنني لم أنساهم فلا زلت أسأل هذا وذاك عنهم وعن أخبارهم، ومن هو حي ومن هو قد مات.

فالجميع هناك بالقرية سعداء، الأسرة أصبحت عائلة ، فيها الحفيدة والحفيد وغيرهم من الأولاد إلا أنا لا هم عني يسألون ولا يرسلون الدعوة في لحظة صفاء ونقاء.

هل أكلم أخي عبد النور أم أطرق باب إلياس أم اتصل بيعقوب أو اطلب لقاء ياسين أم أجتمع بهم الأربعة ولا داعي لقدوم الأب فاللقاء خاص؟ وما هو خاص ليس عن أمي خاص وهي خاصة القلب وأن كرهتني ألف كره من العدم وطردتني بلا شفقة ولا إحساس.

هل أعود إلى القرية ثانية وأجرب حظي دون طرق أيها باب؟ أنتظر خروجها وخروجهم وألقي عليهم بدل السلام سلامات ومعها الحضن أحضان.

رغم الوعد أعود فإنني التي تحن وأن قطعوا رأسها بالفأس أو مزقوا اللحم ورموه للأسود والكلاب، فلا زلت كما أنا بقلب لا يجيد الكره أو ظلم أي أحد من الناس.

سيسمعونني هذه المرة فقد جهزت ما سأقوله ولي ألف عتاب وعتاب وقبلها بوح بما في القلب، وكشف كل ملامح المشاعر والإحساس، فقد ضعفت كضعفي رغم القسوة في الاستقبال والجفاء عند كل لقاء.

دومًا أحلم بذلك اللقاء الذي لا يشبه ما سبق أي لقاء، لقاء استثنائي واحد وأن لم يتكرر فهو لقاء سيعيد مليء كل الفراغات، ويدفن الوجع، ويخفي الجرح والداء.

لم أخبر أحد بأنني ذاهبة إلى القرية فلا أريد نصائح ولا عبر ولا إرشادات، فأنا أعي ما أريد ولن أطبق إلا كل رغبة وأن كانت بعيدة عن الصح بعد الشرق عن الغرب وبعد الأرض عن المساء.

سافرت عند حلول الفجر بعد أن صليت الركعة، والأربع ركعات، واتجهت إلى محطة المسافرين وركبت أول حافلة متجهة إلى بلدي قريتي قرية "أم الشحات"، فهي قرية وما اسمها شئم إلا كاسم نكيدة، والبقية من أهلها قد أمنوا بتأثير الاسم على صاحبه وعلى حياته في القرية وأن غاب ورحل لأخر بقعة من الأرض بقي بنفس الاسم مأثرًا على صاحبه وصاحبه لم يكن خيرًا لمن يعرفونه وأن كان من الداخل أنظف الناس.

لم أدع أحد يراني فيعرفني فقد لبست ما يخفي ملامحي ولن يعرفني به حتى الذي عاشرني الدهر وطول الحياة.

بقيت واقفة لساعة والباقي من الدقائق والساعات جلست بالقرب من مزرعة أبي سوى بكامل تركيزي أدقق لألمح من أريد لمحهم ولو لثانية فيرتاح القلب ويهدأ العقل من تشتيت الأفكار، أو الأفكار تتوقف عن الضغط على العقل وارهاق القلب وباقي الأعضاء.

المزرعة هادئة وكأن من هجروها قد هجروها منذ ست سنوات على تقدير من رأت وراقبت الوضع لساعات.

هل أسأل المارة فيستيقظ الفضول عندهم ويسمع كل من بالمكان فمن نساني قد يعرف صوتي، وأنا التي لم أتعامل إلا مع الأهل هنا والأهل من الزوج هناك.

رأيت طفلة في عمر الخمس سنوات تلعب مع آخر النهار بعد العصر بساعة بالضبط وما كان على نكيدة إلا رفع اليد والبدء في المناداة.

قدمت الطفلة وقبل السؤال قالت: جدي مريض، وأبي بالداخل يضرب أمي بالعصا، وحزام الجلد من السروال.

فمن تكوني أيتها الطفلة؟ فهل أنتِ ابنة إلياس أم ياسين الصغير قد تزوج وأنتِ له أكبر الأولاد؟

قالت: لا أنا ابنة الأكبر، فتعالي أنقذي أمي من فقدان الوعي أو الموت عند الباب فهي تستنجد بمن يسمع صوتها وأنا قد خرجت لكي لا أسمع لصراخها أي صراخ.

نادي والدك يا صغيرتي فأنا العمة نكيدة التي لا تعرفيني إلا الآن وبعد دقيقة لا أكثر، وقف من وقف أمامي فلم أنسى خشونة صوته ولا تلك الصلابة في العضلات.

هل أنت وريث أبيك في الضرب أم القسوة التي تربينا عليها لم تشعرك بأية إحساس؟ أم أنك أخذت والدك العجوز قدوة فما كنت سوى ظالم مغشي القلب مغطى على عينك ومشاعرك كل السواد؟ أم ماذا يا ابن أبي وأخي الذي نسى

أخته كل هذا الوقت وأنا الأخت التي جهزت لك خبز القمح بعد الثانية عشر عند منتصف كل ليلة جمعة، وفي عز البرد وهطول الثلوج وحبيبات المياه.

أن لم تعرف صوتي فها أنا بدون هذا الستار والحجاب، فأنا نكيدة، فهل لا زلت تكره أنها على قيد الحياة أم أنك وقفت مع أبيك كوقوف من ولدتنا فنست أنها الأم ونحنا لها الأولاد؟

لا تنظر إليّ بهذا السكوت والحدة، فلقد جئت للمرة الألف فعندي معكم تصفية حساب، فهل تستعد أم أنك في البادئ ستلكمني لكمة الذل التي شبعت منها وأنا في أولى السنوات؟ فقرر أن كنت ستنادي للبقية أم الوضع بالداخل سوى كله صراخ ألم، فالتتعلم ضرب الخد باللسان وترك العصا لرعي الغنم لا لترك الأثر والبصمات، فويل لك من حزن البريئة ودعوات المتوجع من يوم لن تجد فيه سوى أيد قد قطعت ولسان قد خان وعصا قد تبرت من أفعالك ورميت كل اللوم على هذا الرجل الجبان.

لن أطيل معك الحديث فلن أدخل من ذاك الباب والاجتماع اجتماعنا هنا بقلب المزرعة عند البحيرة الصغيرة أو بالقرب من كوخ الدجاج أو على سور الشجر أو بأيها مكان إلا انني لن أدخل المنزل ونادي للبقية فإنني مستعجلة وقد حان الآوان.

على الجميع القدوم وأن رفضت أمي واختبئ أبي بإحدى الغرف فان اجتماعنا سيكون مع كل الناس وليشهد من يشهد من القرية، فقد فقد العقل فراماله وليس شيء تحت السيطرة، فقد فات ما فات ولن يكون لهذا القرار فوات الآوان ، فتحرك ليكون الاجتماع هنا بالحال.

لا أدري ما الذي دار بينهم بالداخل إلا أنا الأصوات قد خرقت الجدران وأنا سوى بمكاني واقفة ثابتة لا اخشى ما خشيته بالأمس فقد تغير ما تغير وأنا الآن مستقلة الحال والعيش والذات.

مرت الدقيقة، والخامسة، والثلاثين وإذ بالجميع خارج من المنزل باتجاهي فأنا كما أنا لا أنا خائفة ولا أنا أشعر بذلك التوتر والرعب كما كان، كنت انتظر وصولهم فأنا من سأدير هذا الاجتماع، وأنا من أعطى الميكروفون لنفسي أولًا فقد سكت عُمرًا وسنوات وما وصل الحال بنا سوى طاعتي الزائدة، وسكوتي عن الضرب والاهانة، فكان الكره فوق الكره وما توجع وتألم سوى نكيدة والباقي لم يتأذوا من الشعرة ولا الشعرة عندهم قد طارت من هول التحمل والصبر على الظلم وأعظم شر الأفعال.

ها أنا واقفة أمامكم بغير العقل والهيئة والإحساس، عشت بعيدة عنكم وتعلمت الكثير من هذه الحياة رأيت الجانب المشرق منها، لا المظلم الذي رأيتهم في قلبكم ووسط هذه الأرجاء.

لا زلت أحن لمن صفعني، ولتلك التي بطنها تشهد على الانجاب، فماذا أفعل فأنت أبي وهذا أخي وهذه أمي، فهل أتأسف على أنني منكم أم أقول لله الأمر من قبل ومن بعد ولا عزاء لمن باعوا الولد تحت اللا مسمى من الحجج والتبريرات.

هل ستسمعونني أم تسدوا الأذن ويكون الصراخ هو أقوى الرد وبعدها الضرب بكل ما هو متاح؟ أم ستعطونني فرصتي لأقول ما عندي وأن تأخر الوقت؟ فأنا واقفة، ها أنا لأقول جميع الأحرف وكل الكلمات.

نعم، هذه فرصتي لينتهي الذي لم يبدأ من الأساس وبعدها لكم القرار، أن بقي الكره فليبقى فأنني أعيش بعيدًا عن قلوب الكارهين لي ولا أهتم لمن سيحبني بعد ما سأقول فلن ينفع حب بعد كره ولا يهم أن زاد الكره كرهًا فهذا هو الذي بيننا وسأظل البريئة رغم كل الاتهامات.

بريئة، فأنا البريئة وأن اقترفت افظع الأفعال فلا أنا المذنبة واللوم كله على من فتح لي الباب مبكرًا وقال لكي الطريق ولا عودة لك فإياك ثم إياك.

رحلت، وأنا السمكة التي لن تعيش خارج المياه..عانيت ما عانيت إلى أن وجدت الأهل والأصحاب، لم أبكي بعدكم البكاء الشديد ولا حتى عند الاشتياق، ولم تحطمني الأيام ولا داست عليا قلوب من سكني معهم سعادة هم أولئك البسطاء.

حلمت بالرحيل عديد المرات ورحلت في يوم وأنتم أصحاب هذا القرار، رحلت بالأبيض والأسود ولم يكن أحسن رحيل إلا أنه حطمني وداعكم ذاك الوداع ومعه ألف وداع.

لم يكن لي مهر ولم أضع بهذا الكف دينار، ومن سرحت لي شعري قد قصت ربعه تلك الغيورة من نعومة شعر أميرة الأميرات.

تركت دميتي العروسة المصنوعة من صوف الخروف التي خيطتها في الخفاء عن رؤية من تمنعني من اللعب، وامتلاك الذي يسليني، فأنا الطفلة التي عاشت الشباب قبل حلوله ومن يقول هذه حقها في اللعب والحضن والكثير من القبلات.

لم تسرحي لي شعري أنتِ من تسمعينني ولا يومًا قُلتِ عني أنني جميلة الجميلات، ولا كم أنا رائعة وخاطفة للبصر، إلا تنمر كسر القلب وأضعفني عند كل ظهور وخروج من الباب.

هل أسميك أمي أم التي حاربتني بالحياة أم من دمرت ثقتي في نفسي؟ التي لم أكتسبها إلا مع خليقة واحسانة سيدتي الرائعة من بين السيدات.

أم أنتِ الأم التي قال عنها الرسول ﷺ: أمك ثم أمك ثم أمك. لكن شتان بين الأم والأم فهيهات ثم هيهات.

هل تنام الأم والمدللة بعيدة عن الحضن هناك في الغرفة المهجورة غرفة اليتيمة التي فارق كل أهلها الحياة؟ أم نومها نوم التي لا يهم من نام ومن بات مع النجوم والدموع طولها فاق المترات؟

كيف أصنفك ومن أنتِ من أي صنف من البشر وأنتِ الأم التي تجاوزت كل التجاوزات وبالأخير أحن لمن رمتني خارج حياتها وتعيش هي النعيم والسعادة فقد غربت عن وجهها المنحوسة نكيدة سبب كل الابتلاءات.

وأي ابتلاء أعظم من ابتلاء نكيدة بهذه الأم والأب والأخوة من الأهل، فأنا من ابتليت وأجر الابتلاء عوض بدل الأم ثلاث أمهات: الأولى لست ابنتها هي من قالت فكانت شر الأمهات، والثانية خليقة حقيقية من بين النساء والأمهات، والثالثة احتضنتني حضن الأم احسانة ما أروعها من الأمهات، والفوز الأخير لنكيدة بخليقة واحسانة والخسارة خسارة أم لم تكن أمًا لا بالضرورة ولا بالتطوع ولا بأيها التزام من الالتزامات.

أشكرك على طردك لي فلولا طردك لما حظيت بأم من بين الأمهات الحقيقيات ولا أنا الآن أنعم بأفضل حياة، ولا أنا اليوم المكافحة المجتهدة التي

لا ترضى ولا تقبل بذل رجل ولا أي مخلوق على وجه هذه الأرض، ومن بين البشر هي الطيبة على حالها طيبة وما تغير فيها وضع تستحقه فالقلب النظيف مصيره التواجد بعالم الخير والخيرين ممن خلقهم الله، القليلون نحن والباقي يا ويل لهم من جحيم وعذاب هم جاهلوه بالعلم والعند والاثبات.

لم أفعل لك شيئًا سوى من حظي العسير أني بنت هذه الأم وهذا الأب ومن هذه العائلة عنوان الحقد والسواد.

من لا زال يحقد على نكيدة فلك أن تستمر فالعام طويل وقد يكون للعمر عليه البقاء لأطولها سنوات.

لن أطلب السماح من أحد، فأنا الأحق باعتذاركم. فمن اعتذرت بلا سبب قد فاقت من الغيبوبة ولم تعد تعاني من خوف تحريك اللسان ولا قول الحق في وجه الظالم كما هو حادث الآن.

أبي، يا أبي لم تسمعها منذ الولادة إلى الآن فهل أنت أبي حقًا أم هناك من قال خذ هذه البنت ولك عظيم الأجر والثواب؟ أم نصحوك أن تكون عنيفًا قاسيًا لتتربى الطفلة على الخوف والرعب ولن يكون لها صوت ولا هي القادرة على جلب العيب والعار وفعل الفاحشة في بيوت الغرباء؟

من فهمك أن البنت تضرب وتهان وتنفى في البيت الواحد وتسلب منها كل الحقوق ولا حق فوق حق الأكل والشرب والنوم بأيها مكان؟

من قال لك أن جزاء البنت الكره وعدم النظر إليها ومنعها من الأكل من نفس المائدة والصراخ في وجهها فهي من تخدم الذكر ولا يعلوا صوتها الحق فوق صوت من حمل العصا وتجرد من كل الإنسانية والشعور وأجملها إحساس؟

متى رضيت بما فعلت؟ فأنا حقًا المنحوسة ولي من اسمي – نكيدة – نصيب من النكد والشئم ما دام أنت أبي وأنا بنت لهذا الجاهل في العقل والفعل والتعامل مع وحيدته لا غيرها من البنات.

من قال لي لا نريدك فأنا حقًا لا أنتسب إليه رغم الوثائق وكل البيانات.

مهما قُلت وقُلت فلن يتأثر أحد فيكم، فأنتم كما أنتم بما أنتم فيه على هذا الحال مستمرون، لا تعرفون للتغيير طريق ولا القلوب عندكم قد تلين، مع أن الذين عرفتهم خلال هذه السنوات قد تغيروا من أجلي لأني أستحق وفقط.

اجتمعت بكم اليوم؛ لأقول لكم أنني سعيدة بدونكم وحياتي جيدة جدًا ولو بقيت معكم لكنت قد انتحرت وفقدت مالا يجب أن أفقده بسبب المذنبين الذين على نفس الذنب فاعلون، وهم في تلك اللحظة يعلمون أن الخطأ والذنب عندهم قد تجاوز حدود كل التجاوزات.

أنا على ما يرام وأموري تسير بشكل لم اتوقعه إلى الآن.. أنا أنام مرتاحة البال إلا أن الجرح الذي سببتموه لنكيدة لا زال يؤلمني وبشدة ولكن من هذه اللحظة لا اوجاع ولا ألام بعد الآن، فقدت اكتشفت العلاج لهذا الوجع والألم وهو أنني وقفت أمامكم بكامل شجاعتي وجرأتي التي استرديتها لأدفن الذكريات وأكمل لا كما في السابق مثقلة الهم والوجع.

هذه المرة أنا من سأقول لكم الوداع، الوداع وبأعلى صوت وفي وجهك يا أبي ووجهك يا أمي، وداعًا فليس لي أب أفتخر به، ولا أم أدعوا لها واهرب إلى حضنها، ولا أخ أستند عليه وأحصل حقوقي من خلاله.

أنت حتى يا أبي لا تعرف تاريخ ميلادي، ولا أنتِ يا أمي، لا تتذكرون جميعكم الليلة التي ولدت فيها وأنتما من أردتما أن تكون ليلة لا تشبه باقي الليالي لا مما سبق ولا مما جاء من ليالي.

لولا أن هناك من يهتم لأمري ويصر على الاحتفال بعيد ميلادي لما عرفت أي شهر ولدت وأي يوم صادفتكم ودخلت حياتكم التعيسة، الغريبة، المظلمة، الغامضة من قبلي، وأي سنة لأجيب على سؤال كم عمرك يا نكيدة.

لا أريد منك شيئًا فلست أنت يا أبي من اطلب دعمه ومساندته في هذه الحياة، ولا أنتِ يا امي من أسعى لكسب رضاها وسماع دعواتها الجميلة التي تفتح لي مليون طريق وباب، ولا أنت يا أخي من أحتمي بظلك وأقول هذا أخي فليتقدم الشجاع إلى ساحة المواجهة.

أنتم آخر الناس قد يضطرني الزمن والظروف إلى أن ألجأ إليكم أو أقع تحت رحمتكم ثانية.. فالخير لم أراه إلا بعيدًا عنكم والراحة لم تزرني إلا وأنا أنام بغير هذا البيت، والطمأنينة لم أشعر بها إلا مع من أحبهم قلبي بكل صدق وأحبوني بلا أهداف.

من رحل قد رحل، والراحل من يصعب عليه العودة والبقاء، فلا عودة لي وأن طلبتم عودتي مع أنكم لهذا الطلب قد أقسمتم على النسيان والوعد وعد عند شديد الطباع صلب القلب لا يلين عند أي توسلات.

سأدفع في وجوهكم جميعًا بابي، فبابكم قد قفل بمئة قفل والمفتاح تحت مزهرية المدخل فلا أنوي فتح قفل، ولا الدخول إلى مكان لم يعد مكاني بكل المسميات.

من يسألني عنكم سأقول الجميع احترقوا فمات من مات، وما دعوتي إلا استجيبت بعد الحاح وتكرار عند كل الصلوات.

لن انحني يا أمي لأقبل يدك، ولن أطلب منك أطهر الدعوات ولا بركة من أبي فهي لعنة قد أصابتني، وشفيت بعد كثير من المعاناة.

لن أقول لي أهل، فخليقة واحسانة هما فقط من الأهل، والباقي لا هم من الأهل والأحباب ولا هم من ألد الأعداء ولا أعرف محلهم من القرابة والاعراب ولا هم الذين يعرفونني لنكون من نفس الأصل والنسب والقرابة.

لن أنتظر منك أيها المسن ولا أنتِ أيتها المسنة أن تقولا لي أغربي عن وجهنا، فأنا سأنصرف خلال هذه الدقيقة، فيكفيني أنني أقدمت على هذه الخطوة وقلت ليس كل ما أردت قوله إلا أنني تجرأت وقلت الذي جعلكم في صدمة وذهول الآن.

نكيدة لم تبقى تلك الفتاة التي تخاف من ظلكم، ومن نبرة صوتكم، ومن نظراتكم الحاقدة أنا تغلبت على نفسي لأكون واقفة أمامكم الآن وأتغلب عليكم، وقد تغلبت لا بشجار ولا بغيره، بشجاعة أنا اعتبرها بسيطة وبمواجهة سهلة يا ليتي لم أؤجلها إلى هذا اليوم.

تغيرت كثيرًا لا من أجل أحد وإنما من أجل نفسي التي كانت بحاجة إلى هذا التغيير، وأحسن شيء فعلته يا أبي أنك اتخذت قرار زواجي بأبو جواد، والخروج من هذا المنزل وترك هذه الحياة، فالفرج كان من المستحيل أن يطرق بابي ويفاجئني إلا وأنا بعيدة عنكم ولا أقيم معكم.

لا أحب أن يسألني أحد عن الماضي، ومن أين جئت؛ لكي لا أضطر على ذكركم وقول الذي لا يصدق، فإنني أخجل كل الخجل وبشدة وأستحي في أن

أقول هؤلاء أهلي أعدائي بلا عداوة وهم المحتل الذي ارغمني على تقبل وقبول الوضع المزري والحياة التي لا حياة ولا عيش فيها.

سأتوقف عن الاستماع لأهات الجرح والوجع الذي تركتموه بداخلي، يكفي أني حرة طليقة قد تم اطلاق سراحي من سجن لو بقيت فيه أكثر من ذلك لما كنت أنا اليوم بالحياة ولا كما أنا الآن بهذا النور والقوة.

لن اصطحب معي الذكريات السوداء هنا وهناك، وعند كل تنقل لي فهناك من لا يتحمل حزني ولا يطيق في أن أدخل في حالة اكتئاب.

حقيقة الحياة درس، ودروس وأشكركم على تلقيني أصعب الدروس في أصعب الأوقات وأنا أجهل ما أجهل تقريبًا جهلي كان لكل شيء، وهل سيحفظ التلميذ الدرس القاسي من أستاذ هو كل القسوة والجماد.

نعم يحفظ الدرس كما حفظته سوى حفظ دون فهم وبعد مرور الزمن فهمت ما يعنيه الدرس الذي حفظته وكان درس أشبه بتعاويذ لا يفك عقدها، وحروفها إلا ساحر قد باع الدين والعقيدة وبالله الاعتراف.

أن تمكنت من سحب اسمي من دفترك يا أبي فإنني سأؤيد هذا السحب بالبصم والامضاء، فلو يعد يهم من أنا ومن هم أهلي ومن أي مكان قد أتيت، ولا يهم بالنسبة لكم من نقص ومن رحل ومن هو مفقود.

ما هو ردكم على كل هذا أم ما زال الرد هو نفس الرد عندكم، الرد الوحيد الذي لا رد غيره تهجم وهجوم وتعدي بلا أي اعتبارات أم ما هو الرد بعد طول هذا الغياب، إلا أنني أشم الرائحة التي لم تغيب من أنفي هي نفسها رائحة الغل والحقد والقسوة بداعي وبدون داعي ومن كل الاتجاهات.

أنظري يا أمي إلى وجهي لم يسود ولم تظهر عليه مختلف التشققات، لا زال الأبيض لون بشرتي فما يحمله القلب ظاهر وأن أخفيته بكل الوسائل والطرق والمحاولات.

جميلة القلب أنا والملامح والنوايا والتصرفات، لم أعرف للحقد طريق ولا الكره كان له مكان بالقلب ولا في مختلف الأقوال والأفعال.

سأعود إلى المكان الذي جئت منه ولن أفارقه، فهناك القلب والعقل وراحة البال، أما هنا فلا يعنيني ما هنا وما يكون وسيكون فقد تركتموني فتركت حبستي القاتلة، والوداع من الجميع رغم رفضي لهذا الوداع إلا أنه خير وداع.

لا لقاء لنا بعد الآن فالمدينة موطني، ومن هناك بانتظاري، الأهل وكل الناس، وأن التقيت بكم صدفة وهذا المستبعد فلن يكون هناك بيننا أي سلام ودعوني وقتها أكون المذنبة فالذنب قد حمله من تسبب في كل الذي كان وما كان.

لا أغراض لي هنا سوى دمية صنعتها بنفسي وخبأتها داخل طوب الجدران، فلم يراها أحد وقتها وقد بني الحائط واختفت أجمل ذكرياتي فأنتم دومًا من تقضون على كل سعادة تزورني أو فرحة تشفق على حالي.

فلا جدوى من الكلام معكم إلا أن القلب قد رغب في قول القليل مما قال اللسان، ومع أن من تأثر قد تأثر ليصفعني صفعة الموت النهائي لا البقاء والنجاة.

ما أهدئكم من بين البشر في هذه الأثناء فهل أنتم حقًا أم أنا قد أخطئت في العنوان أم اللسان عندكم أبتلع الأحرف وغابت الكلمات؟! وقد يكون كله من أجلي لأتكلم والكل يسكت ويسمع جميع الكلام

لن أقول لكم ما هو ردكم على ما قلت فلا وقت لي لأسمع شتيمة الأم والأب والأخ الأصغر قبل الأكبر من الأخوة الكبار.

كيف هي أنا وكيف هم أنتم والفرق بيننا لا يشوبه غموض أو غبار، فيا الوضوح ما في نكيدة والغموض قد غطى شعر الأصلع منكم وشيب الكبير بيننا في هذا المكان.

هل كان يحتاج الحب في أن يكون بيننا كل هذا العناد أم لا تعرفون للحب اسم فهنا لا لوم على الجاهل والجاهل له أن يتعلم من عقول وأفواه المجانين والغرباء.

فكم حزني عليكم أكبر من حزني منهم والحزن لم يبقى ذلك الحزن بذلك الحجم والمقاس.

غادرت القرية وهذه المرة نكيدة ستنفذ الوعد ولن تخلفه مهما كان، فلا عودة لي إلى هنا، ولا إلى بيت أبي مهما كان، فلا مكان لي مع من لم يخصصوا لي شبر من هذا المكان.

عدت إلى حياتي كما أنا أعمل عملي ومستمتعة بكل لحظة وثانية مع من هم معي وبجواري فأحسنوا الجوار.

احسانة اقترحت أن أدرس وأتعلم لتكون الحياة سهلة معي؛ لأن كل متعلم هو في الحياة سيد ومختلف وذكي عن الجميع وأنا أرغب وبشدة في أن أتعلم،

فهذه كانت رغبتي منذ الصغر ومن حرموني من التعليم قد تركوني وتركتهم وليس هناك أدنى مانع يمنعني من التعلم وحمل الدفاتر والأقلام.

المعلمة راشدة هي معلمتي التي تحضر إلى منزل احسانة فهي معلمة ومدرسة كذلك في مدرسة زوج السيدة احسانة.

شغفي وحماسي الكبير للتعلم واصراري الذي لا مثيل له على كسب المعارف وتعلم القراءة والكتابة جعلني لم أستغرق وقتًا طويلًا في التعلم سوى أشهر قليلة. أصبحت نكيدة تكتب اسمها المشئوم وتقرأ ما يقف في يدها وأمام ناظرها.

لم يعد هناك بحياتي فراغ يأكل عمري ويسحب شبابي ولا هناك ملل يجعلني أكره أن يأتي يوم جديد، كل هذا لم يعد موجود فالحياة رائعة، هناك أهداف بحياة نكيدة وأمال وطموحات قد تعدت سقف كل التوقعات وأحلام أنا أسعى جاهدة ومجتهدة إلى تحقيقها قريبًا.

نعم نكيدة اليوم إنسانة مختلفة جدًا، عقلها نضج، ولسانها تعلم الرد الجيد السريع، والذي لم أكن أجيده ولا أعلم عنه شيء أنا الآن أتقنه اتقان المحترف في المهنة.

أمي الهانم احسانة لم تعد تقبل عملي كخادمة لا عندها ولا عند غيرها وهذا من المستحيل أن يحدث ويكون، فأنا اليوم المتعلمة بالشيء البسيط أبه نعم إلا أنني تعلمت وأتعلم باستمرار.

دخلت مدرسة سيدتي احسانة؛ لأتعلم التعلم الصحيح وأحصل على الشهادات وهذا ما كان فأنا في اليوم القريب أصبحت طالبة بهذه المدرسة المتمكنة الراقية.

لم أستحي من الذهاب إلى المدرسة وأنا صاحبة الثامنة عشر من عمري فأنا المتفوقة التي تنتقل بسنتين ثلاث سنوات في الدراسة لا السنة تلي السنة.

إلى أن جاء اليوم المشئوم الذي فيه تم خطفي من قبل ثلاثة أشخاص ملثمين لا أعرف من هم ولما تم خطفي.

وأنا عائدة ككل يوم من المدرسة إلا أنني في هذا اليوم رغبت في الذهاب إلى الاستجمام والجلوس على إحدى البحيرات المحيطة بها المدينة، وقبل الخروج من المدرسة اتصلت بأمي خليقة وأمي احسانة للخروج معًا في هذا اليوم المشمس الرائع، ولكن سيكون خروجنا متأخرًا نوعًا ما.

وصلت للمكان المراد وأنا جالسة بإحدى المقاهي أنتظر العزيزة ومعها الغالية قدم نحوي طفل متوسط العمر لم يتجاوز العشر سنوات وطلب مني المساعدة وأنا كالعادة لا أرفض مساعدة أحد، بالعكس أبحث عن كل من هم للمساعدة يحتاجون وأساعد دون بخل أو تردد وفي حدود قدرتي واستطاعتي بكل تأكيد.

مشيت مع هذا الطفل وأنا أسأله: إلى أين نذهب، ما هي مشكلتك؟

وهو رده: ستعرفين يا خالتي بعد بضع ثواني فقط.

وقف الطفل في ذلك المكان المظلم في شارع من الشوارع الهادئة جدًا التي لا يوجد بها أحد ووقفت أنا معه لأرى ما يوجد هنا وما الآتي.

وفي لمح البصر إذ بشخص غطى رأسي بقماشة ولف الأيدي إلى الوراء وتم وضعي بسيارة وسارت بسرعة فائقة.

من يقود السيارة يقودها بسرعة لم تنقص فالذين معه يطلبون منه الإسراع، وأنا قد امتلكني الخوف وأرتعش رعبًا من الذي حدث وهاتفي يرن بلا توقف.

أنا لا اطلب منهم سوى اخباري ما الذي يحدث، ومن أنتم وماذا تريدون وهاتفي تم سحبه من جيبي، وسكتت رناته، ولا أدري بعدها بيد من هاتفي، وكيف ستكون حالة خليقة واحسانة بعد اختفائي.

أنا أفكر في كل شيء في لحظة واحدة فما فكرت فيه مهم ومن فكرت فيهم هم متعلقون بي وأنا متعلقة بهم لا أقل من تعلقهم بي.

بقيت هادئة والسكوت عنواني، فلا حل غير هذا أخذت به فأنا المخطوفة الآن والخاطف لن يتركني أعود إلى مكاني فله هدف وغرضه سيحققه ولا عودة لي إلا بعد تنفيذ كل الطلبات. هذا هو الخطف والمخطوفة ليس بيدها سوى مسايرة المجرم لتبقى ضمن اطار الأمان.

كيف ستسير الأمور معي وبعد الذي تعرضت له بعد القليل من الوقت؟ لا أدري، إلا أن الله معي ودعوات أمي خليقة واحسانة ستنجيني من كل أذى وشر أنا متأكدة من ذلك، وسبب هدوئي هو يقيني أنني سأكون بخير وأعود إلى حياتي في وقت قصير، هذا الشعور لم يجعلني أصرخ صراخ المجانين ولا أتهور تهور المتهورين ولا غير ذلك من التصرفات وردود الأفعال التي تراها نكيدة لا داعي لها إطلاقًا.

أنا أحاول قياس الوقت التي استغرقته السيارة في السير. فالطريق طويل والخاطف لم يصل إلى مكانه إلى بعد ساعات قد تكون في الأربع ساعات أو أقل في هذا الحدود.

توقفت السيارة وهناك من حملني بمساعدة الآخر، وتم وضعي في قبو، تعثرت في النزول وسقطت وبدأ جري وأنا أبكي ألمًا، إلى أن تم غلق الباب، وانصراف الجميع.

بقيت تلك الكيس القماشي على رأسي ووجهي ويدي مربوطة من الخلف ولساعات وأنا على هذا الحال ولا أدري أن كنا لا زلنا بالليل أم أن الشمس أشرقت من جديد.

غاب خاطفي ساعات، وفي لحظة من اللحظات فتح الباب ودخل من دخل فلم يكن شخصًا واحدًا.

أنتِ في قبضتي يا نكيدة، ما رأيُك الآن؟ أين الشجاعة التي ظهرتي بها أخر مرة وأين كل ذلك العناد.

هذا أنت يا أبي، أنت من خطفتني يا أبي ولماذا؟

الطفل الذي طلب مساعدتي هو ابن أخي الذي لا أعرفه ومن قام بعملية خطفي هو اخوتي الأربعة ومعهم ابن الزوج الأب المتوفي ابن خليقة.

هناك من رفع الكيس القماش من على رأسي إذ أنني أرى الجميع موجود. جميعهم لم يغب أحد من الذين يكرهونني وهم من خططوا لخطفي، ومن أجل ماذا لا أعلم، إلا أن نهايتي مأساوية مع هؤلاء فهذا ما يريدون فهذه نواياهم وأفعالهم التي أعرفها وتعودت عليها من أول يوم كنت معهم إلى الآن.

هل ستقتلني يا أبي لتقول ها أنا الأب الذي انتصر على براءة ابنته أم تخفي مكاني عن الكبير والصغير وتقول لا علم لي أين هي ومن تكون فما مخططك أيها الأب النرجسي؟

وأنتِ التي تقفين ورائه إلا تخرجي من بين أضلعه وتنطقي مكانه وتقولي لن أترحم عليكِ، ولن أقول كانت لي بنت وقد فارقت الحياة.

وأنتم يا أولاد خليقة ما هي مشكلتكم مع نكيدة فلا مالكم عندي ولا أنا من اقترحت ذهاب والدتهم من نفس اتجاهي.

أنا من أرادت أن تكون لها حياة غصبًا عن الجميع ولكن بقرار منكم.. قراركم كان نورًا بعد أن ظننته ظلامًا وجحيم.

ماذا يريد جيش من أسير لا أسرار عندي لأكشفها ولا أنا الغنية التي تملك الكثير من المال والنقود، ولا أنا التي بقائها سيفيدكم ولا رحيلها سيكون لكم الفوز والانتصار.

ضربوني ضربًا مُبرحًا، وأبقوني بهذا المكان الموحش إلى أن جاء القرار الأخير فلست أنا من أعيش وأنا التي وقفت أمامهم وقالت قول الحق والذنب ذنب من وتبًا لفعلكم الحقير.

لن أترجى لمن حفر قبري ومزق قماش الكفن الذي ليس من الحرير، ولن أقول لهم توقفوا فلست أنا من صنعت العجب وأدهشت الجميع ولا أنا من خانت الوعد وركبت فوق موجة الوجع والصريخ.

بدفني سيحرقون أوراقي والذكرى لا بالحرق تغيب ولا بالدفن تختفي وتستقبل الغريب، الذكرى ذكرى والقاتل أن نام مرتاح لن يهدأ عن رؤية الكوابيس.

ما أجلوا نهايتي إلا لأن خليقة جاءت إلى قلب القرية وهددت الجميع وقالت ما عندها وطلبت اخراجي من حبستي وكأن شيء لم يحدث ولم يكن لا في هذا الوقت القريب.

جميعهم ينكرون اتهام الغالية وحبيبة الروح لم يغادرا القرية فلهما البقاء لأبقى وليس لهم الرحيل لكي لا أموت.

أنا بالقرية ولكن بذلك المكان البعيد وخليقة بمنزلها مع احسانة وأولادها يقنعونها بأنهم أبرياء من التهم، واختطاف زوجة الأب فهذا عمل أخطر المجرمين.

لم تغادر خليقة منزلها مع أنها لا تعلم بأي بقعة رماني الخاطف مكبلة الأيدي والرجلين.

بلغت احسانة ومعها خليقة الشرطة على اختفائي والبحث عني دام اليوم واليومين وقالوا أنني مفقودة ولا جريمة تحت في الخفاء أو تحت نظر الحاضرين.

وأنا لا زلت في المكان المظلم أنتظر مصيري إما تحريري في القريب العاجل أو حتى كان البعيد وإما الرحيل.

هذه المرة لا أنوي المغادرة فلم أرسم المخطط بعد ولم تتحقق كل الامنيات، ولم أرى للحلم هيئة ولم أسمع له صوتًا كصوت العصفور الصغير.

كنت جالسة بمكاني انتظر ماذا يقرر الكبير أو ما الذي أقترحه الصغير.

أريد أن تنتهي هذه المسرحية، وأن لا يشاهدها من الغريب لا بالحقيقة ولا بتوقع مختلف الكواليس ولا بالسمع ولا بالسرد من أقوى مؤلف فالمخجل مخجل وما يفعلونه العار بعينه والقبح البشع الحزين.

خداع الأهل بصمة عار وسمعة لم تحظى بالشرف والنظيف وما أنا فيه عار على عار من أهل لا يهمهم النتيجة فالعند قد سيطر وجرأتي نتيجتها التهديد وتنفيذ سبقه وعيد.

ها أنا أنتقل من زاوية إلى زاوية زحفًا بعد شل حركتي، والحبل الخشن حبس الدم وقطع نشاط العضو عن العضو، والجزء من الجسم النحيف.

تبًا لأنني منهم ولأنكم من بين البشر على هذه الأرض تعيشون، فلم أرى لكم شبيها ولم تتبنى الأفلام مثل ما أنتم عليه فأنتم من البشر الوقحون.

خليقة واحسانة يعيشان حيرة كبير وقلق لا مثيل له والشرطة لم تتوصل إلى شيء ومن خطفوني قد اتخذوا كل الحيطة والحذر، خليقة اتهمت اخوتي بخطفي وأولادها مشاركون ولا تدري إلا أنها شكت فيهم وأقنعوها.

رفضت العودة مع احسانة إلى المدينة واحسانة تخلت عن فكرة العودة إلى المنزل ومغادرة القرية، فالأم هي الأم التي تشعر بقرب أولادها وأن أصابهم مكروه وقفت مستعدة لمحاربة الجميع.

لا زلت المخطوفة ولا زال الخاطف لا ينوي على تركي وفك قيودي والبصق على وجهي، فهو مُصر أصرار المحارب الذي لن يخرج من المعركة إلا بعد القضاء على العدو ورمي أشلائه.

توقفوا عن زيارتي سوى ابنة خليقة تزورني في الأوقات المتأخرة ليلًا فعندها ما تقوله لي بعد الحين والآخر، فما كرهتني إلا لأنني زوجة الأب الزوج، ومن حاربت من أجلها الأم واختارتها عن الجميع.

لن أنسى شدها لشعري بتلك الشدة القوية فتسحب ما تسحبه من شعري الناعم وذلك الكف كفها قد شهد على شهر سحب ورمي بكل حقد وغل جعلني أصرخ ألمًا وصراخي لم يسمعه أنسًا ولا جنًا.

مال أبيك يا تقية لم أرى منه دينارًا فلا أنا الوريثة ولا أنا في الأوراق زوجة من تزوجني ولي منه من الميراث النصيب، فقد تزوجني طفلة والقانون زواجي وأنا بالسن لا زلت صغيرة.

عملت واجتهدت فأنا من أعين والدتك والسر عندها سرًا لم تريه النور ولم تخطأ في قول عنوانه يومًا.

فان كان انتقامك من أجل المال فلم أرى الدينار من جيب أبيكِ لا هو بالحياة ولا بعد أن مات وترك الورث.

لم يعتبرني زوجة يومًا، فقد سامحته؛ يكفي أنه لم يتعدى على طفولتي لا في يومها ولا في الأوقات البعيدة.

لو طلبتي مني نصيحة لقلت لكِ ابقي عن المجرمين بعيدة والمرأة للمرأة مساندة وأن أكلت من كبدها الربع أو النصف.

من أقنعك فقد أراك لك الأذى والضر فلا تكوني مجرمة ولا أنتِ القاتلة لا من الملامح ولا بالظاهر ولا بقوة التطبيق وقطع الوعد.

انسحبي ودعي الظالم ينهي ما بدأه فالأمر أمره وهو الأب والأخ وللأسف الأم وما أنتم سوى البعيدون عن ثأر ولد من العند والعدم.

لا أنا هي من جلبت للأهل العار، ولا من هربت وغابت عن الأنظار، ولا أنا من وسوس لها الشيطان فارتكبت الخطيئة بالعلن والقرار.

من يريد قتلي فليقتلني فقد مر على خطفي الأسابيع وكلما زاد الأسبوع على الأسبوع حررت نفسي أو حرروني وخابت خطة المجرم الجبان.

انصرفي أيتها الأم فمن لها الولد والبنت لها الجنتان فوق الأرض.

لا عمل لكِ مع الغرباء يا تقية وأن كان حقدك عليّ وكرهك لي وغضبك مني قد تخطى كل الحدود ومعها التوقعات ما لك عائد إليك دون أي مخالفات أو تجاوزات.

جاء أبي واخوتي في تلك الليلة التي لا يشبه ظلامها وسوادها أي ظلام ولا سواء عن تلك الليالي التي سبقت وكنت فيها أنا بالحياة.

كنت مستعدة لا أنتظرهم وإنما استعدادي استعداد لا التي ستفارق الحياة ولا التي راضية عن ظلم الأب ومعه الأولاد، استعداد نكيدة شجاعة ليس فيها ذرة من الخوف أو نية الهروب وأن فتحت جميع الأبواب.

أريد أن أرى ماذا سيفعلون وإلى أي مدى قد وصل بهم الرغبة في الانتقام.

هذه أنا صامدة دومًا وأن حاربوني، بما حاربوني لن أهتز فالقادر فوقنا وأن أمر لزوال الأذى لفر الظالم يجري هنا وهناك ولا أحدًا خلفه فقد قدرة من خلق البشر بجميع الطباع والخصال والهيئات.

نكيدة تشم رائحة النصر وأنا التي لا تستطيع تحريك أصغر الأصبع ولا فك الرباط.

وقفت لأسير معهم غصبًا فلم تحملني قداماي والتورم خلق طبقة صعبت عليا المشي أو الجري عند حلول الفرصة وغفلة من جروني إلى غير هذا المكان.

عليكم بأخذها إلى آخر بقعة بالقرية، إلى أن لا يراكم الطير وأن قرب بعد اشتمام رائحة قطرات الدماء.

وحذاري أن يصدر لها صوتًا لا يخونكم ضعفها وعجزها الظاهر المغيب للوعي والاحساس.

فجميعنا لا نرغب في مفارقة الحياة ومن داست عليه دبابة من الدبابات وقف بعدها ليقول للموت ها أنا حي فانصرفي فلم يفت بعد الآوان.

هذه المرة دعوني أشاهد كل الأحداث فحملوني فلا وقت لديهم وخوفهم من كشف أمرهم قد سيطر على الجميع بالكامل، إلا أنهم يحاولون سرقة الوقت والفرصة من محاولة قد تنجح وقد تفشل وقد يعجز القوي الضعيف عند التنفيذ والانجاز.

ضعوها يا أبنائي بالقرب من المباني التي هي تحت الانشاء فلا أحدًا يزور ذلك المكان، وقد توقفت فيه كل أعمال البناء منذ أزيد من سنتين فلا قدوم لهم إلا بعد تحولها إلى عظام، لن يتعرف عليها أحد والمهتم اليوم مهتم بحاله والباقي لا يهم عند معظم الناس.

أبي القائد الذي ألقى خطابًا على جنوده، ظننته أنه سيغيب عن هذا الحدث ولن يشارك إلا بالتحريض وإعطاء الأوامر واتخاذ القرارات، فكان عكس ما كان ورافق جنوده ليرى تنفيذ الجريمة بأم عينه فيقول لي: ما رأيك يا نكيدة في هذا العقاب؟

قبل تمرير السيف على الرقبة نكيدة تنزف فالعقاب الأول كان أشد عقاب، تعذيب قد أنجب من الجرح ألف جرح والجسم هزيل انشق فيه اللحم وبان العظم والجروح عميقة، والفاعل ليس بقلبه رحمة ولا لها عنوان.

بقي على الوصول مترين إلا أن نكيدة فقدت الوعي وهذا الذي حصل وكان، فقد نزفت كثيرًا والجروح قد ضغطت على الادراك فما كان إلا أنها سقطت لا تعي شيئًا مما حدث لحظتها ولا الذي سيكون بعد الآن، فالآن المهمة سهلة فلن تقاوم المسكينة ولن تقول لهم توقفوا سأركع للذي غضب مني، فأقسم على دفعي الثمن وجزاء المخطئة المذنبة قطع العنق من الحافة إلى الحافة ولا الرأس مع الجثة تدفن مهما كان.

المنطقة المهجورة مهجورة بالفعل وقد تم وضعي بإحدى زوايا بعيدًا عن عمود النور المضيء بنسبة الواحد من الإضاءة فلم يتفقدها المختص منذ زمن قد مر وما قالوا عنها المنطقة المهجورة إلا لأنها أرض لا تتخطاها كثيرًا الأقدام.

وضعوني على الأرض مستلقية لا أعي ما الآتي وما فعلته الآن، لا زلت لا أقوى على التحرك ولا الصوت عندي بكامل جاهزيته ليقول توقفوا، هل فقدتم عقلكم أم أنتم المجانين؟! هذا هو وصفي لكم أيها الجبان ومعه ذاك الجبان.

لا أقوى على شيء إلا أنني لا زلت أشعر أن النصر قد لبسني في هذه الأثناء وفي الحال.

التفوا حولي ليرسلوا روح نكيدة إلى أعلى السماء، ويشاء الله خالق السماء والسبع من السماوات فالمهندس المقاول المكلف ببناء المباني في هذه البقعة المعزولة عن البشر والعالم متواجد هناك.

يتم التجهيز لبناء أضخم البنايات لتكون وجهة ممتازة للزائر والسائح ومن آتى من غيرها من البلدان.

لم يكن الوقت متأخرًا جدًا فلا هي الثانية عشر ليلًا ولا بقي على الفجر القليل من الوقت، فالساعة إلى التاسعة مساءً تشير والمهندس فقد هاتفه بهذا المكان وهم وأنا بالقرب منه كما أمر أبي فهذا خير اختيار من بين الأماكن؛ لأنه أكثر هدوء وحركة ولا فيه أي أمان.

لم ينتبه المهندس لنا فهو مشغول في البحث عن هاتفه الذي هو متأكد أنه وقع في إحدى المباني المظلمة إلا أنه استعان بالضوء الذي بيده على أمل إيجاد الهاتف ومغادرة المكان.

سمع صوت اخوتي والكبير يقول أنا الكبير فافسحوا لي المجال، فقد أهانتني نكيدة، والقلب عندي يغلي، والنار فيه ملتهبة لن تنطفأ إلا بضربة سيف ينهي كل هذه الرغبة الشديدة في الانتقام.

سمعهم ولم يصدر صوتًا أو يلفت الانتباه فقد أحس أن الذي هناك شيء مريب فقد تكون مصيبة كبرى أو مجرم قتل من قتل ويحفر للضحية قبرًا جزاءً له على تجاوزه فهذا هو التوقع في الغالب إلا أن هذا الحاصل في مثل هذه البقع ومع هؤلاء.

فتح المهندس صندوق سيارته فأخرج بندقية الصيد ولم يفكر في الآتي إلا اطلاق رصاصتين فزع بسببهم من استعدوا لموتي فمن اختفى قد اختفى والثاني قد لحق بالأول هروبًا من المكان.

بقت نكيدة طريحة، والدم قد غطى ملامح التراب، ومن أنقذني من الموت إنسان لم يزر مقر البناء منذ شهور طويلة إلا بهذا اليوم والسبب قرار في انطلاق أشغال البناء من جديد، من يومين والهاتف التي فقده المهندس أعاده بهذا الوقت لينقذني وينقلني إلى المستشفى إلى أن عدت للحياة في ذلك الوقت

المناسب، فللنصر أن يصل عند اللحظة الأخيرة بعد فقد الأمل رغم إصرار الانتصار.

فقدت الكثير من الدم وأنا بحاجة إلى متبرع يمنحني من دمه دون بخل، أو قول لن أعطي أكثر من الكيس فأنا الأولى وأخاف من إعطاء كل هذه الدماء.

بتسهيل من الله فقد أراد أن تعود لي الحياة وكان هناك متبرع لم يقل يكفي سحب الكثير فاني أرفض هذا التبرع أن زاد.

فمن تبرع فقد أنقض حياتي وهو الخير والفرج من الله على هيئة إنسان، وأنا التي تمسكت بالحياة تمسك الذي له أحباب لا يقوى على فراقهم ولا الرحيل عنهم وهم بعده لن تكون لهم حياة.

فتحت عيناي لأرى خليقة واحسانة ومن قدم لي الحياة، كيف أشكر هذا الرجل الاستثنائي وهو بطلي الذي حققت معه بطولة النجاة.

أرادني الله أن أكمل مسيرتي فمبكر على نكيدة الرحيل، وما دعواتها إلا سبب مباشر على بقائي حية رغم كل تلك المحاولات، من أشخاص باعوا الدين لإرضاء حقد لن يرضى وأن ارتكب من أجله أفظع الجرائم والأفعال.

تعافيت، فقد تلقيت أفضل علاج واهتمام الأم والأم الثانية قد أخفى الكثير من الجروح والأثار ومحى تلك الانتكاسات.

رقدت في مستشفى الليلة فيه برزمة من الأوراق فهذه هي سيدتي احسانة فضلها على نكيدة كبير وما وجودها بحياتي إلى حظ عظيم لنكيدة الفتاة.

لم تخف جروحي بسرعة فبقيت أثار الكثير من الجروح ظاهرة وملتصقة كالبصمة التي لن تزول لا بالماء ولا بتمزيق الورقة في الحال.

لم تبقى نفسيتي مهدمة فمن يحب نكيدة هو بجانبها ولا يغيب عنها، فهل يبقى الحزن بنفس من هو مرتاح بمحبة الآخرين.

الأيام التي رقدتها في المستشفى أنا لا أتمنى سوى الشفاء ولقاء من أنقذ حياتي وأعاد ليا الروح، وطرد من طردهم بفعل لم يتوقعوه فبقيت أنا ورحلوا لأبقى على قيد الحياة.

خرجت من المستشفى وعدت مع احسانة وخليقة إلى المنزل، وتلقيت اهتمام ورعاية تفوق أي اهتمام، وفي اليوم الموالي من خروجي زارني من تمنيت لقائه والحديث معه؛ لأقول له شكرًا ألف مرة، وأقول له الكثير من العبارات الشكر والفخر والثناء فهو الذي يستحق من بين الكثير من البشر والناس، فأنا الآن حية وبالمنزل وقد عدت إلى الحياة.

لم يأتي لوحده بطلي ومنقذي فقد جاءت معه والدته وأخته فكم هم أناس مختلفة عن باقي من صادفتهم وعرفتهم في هذه الحياة،، حقيقة كنت مسرورة ومحظوظة بمعرفة مثل هؤلاء الأشخاص.

المهندس هو إياد الذي كل مرة أسأل عن اسمه ولا أحد يجيب، فلم أعد أراه ذلك الرجل البطل إنما تخطى اعتباري إلى كم أنا معجبة به فهو الرائع من الألف إلى الياء والمختلف من الزاوية وكل الزوايا والرائع بكل الأحرف والكلمات.

شكرته ورفض شكري فهذا موقف الشهم وأن أحاط به الخطر من كل الأماكن والاتجاهات فهو الشجاع الذي لم يهب الموت أو هجوم الغرباء، وإنما استعد وأصر على انقاذي فهذا موقف الرجل الحقيقي الذي لا يهرب لينجوا ويبتلع الخطر أولئك الأبرياء.

لم ينتهي لقائنا هنا ولم تفرقنا الأيام فقد أصبحنا أصدقاء، والصديق عن صديقه لا يغيب ولن يرحل وأن غاب عن الساحة والأنظار.

أصبح صديق لي ولعائلتي فقد أحبته احسانة وخليقة وقد أحببته في تلك الثانية واللحظات.

أتصل به بشكل مستمر ولا أغيب وأن قال مزعجة هذه من بين النساء والفتيات، فإنني المعجبة التي لا تتوقف عن طلب سماع صوته وتجري لرؤيته هنا وهناك.

ومر الوقت القصير لا أكثر على صداقتنا وقال الذي انتظرته حتى قلت قد أحبته نكيدة وهو الذي يعتبرني الصديقة لا غير فما الآتي فهل سيكون معي ذلك الرفيق الدائم الزوج والحبيب لي بهذه الحياة.

كان أشجع مني فصارحني بأنني حبيبته في الخفاء ومن يحلم بها بينه وبين نفسه، وأنا التي اعتبرته كل شيء لي بالحياة.

أراد مني أن لا أغيب عنه لا بالليل ولا بالنهار ولا بأيها وقت من الأوقات، وأنا بسرعة فهمت قصده وصارحته بالذي بقلبي له فكان قرار الارتباط والزواج.

وأخيرًا وجدت من يشبهني وأرتاح له من الرجال، وجدت الذي أردت أن يكون بطلي في سنة من سنوات الحياة والذي حلمت به لم يعد حلم لن يتحقق وإنما حقيقة صارت فما مصير الحلم إلا أنه يظهر ويقول ها أنا بكل المحاولات والأدلة والاثباتات.

حياتي الآن أصبحت لها معنى أكثر من السابق فقد وجدت الذي أتقاسم معه الأحزان والأفراح والهموم وكل الابتلاءات، أشاركه البسمة وأقفز معه عند كل الضحكات.

القدر دومًا يفاجئني بأجمل المفاجئات، لست أنا من اختار فالقدر عني يختار أروع القصص والنهايات.

خطبني الحبيب الأول من خليقة واحسانة. وتمت خطوبة نكيدة وكان الحفل جميل قد فاق كل التصورات.

أنا تلك الفتاة البسيطة التي لا تمتلك شيء لولا مساعدة الآخرين حفل خطوبتها كان ضرب من الخيال، لم أتصوره ولم يكن جزءًا من أحلامي لا قبل معرفته ولا بعد أن دخل حياتي هذا الرجل الجميل من بين جميع الرجال.

ارتديت ذلك الفستان الزهري ولم أكن أختلف عن كل الأميرات. بأميرتي ناداني فأنا المميزة بين كل الحضور وهو أميري الذي خطف قلبي وبصري وكان هو لا سواه الملفت للأنظار.

في هذه اليوم المميز أهدتني خليقة صندوق صغير الحجم قريب من المتوسط فيه الذهب والمجوهرات.

قبل أن أقول ما هذا يا أمي خليقة أقسمت بالثلاث على أن هذا من نصيبي فلن يعود الصندوق إلى مكانه وصاحبته اليوم يومها الاستثنائي من بين كل الأيام من السنة، وحتى ما سبقتها من أيام وسنوات.

ارتديت القطع المناسبة لفستاني ووقتها اكتمل شكلي فكم كنت رائعة وفائقة الجمال، وبطلي بطوله الجذاب وشكله الاخلاب لم نكن سوى ثنائي لولا الذكر والتحصين بأم الأيات لما كان لنا عودة للحياة.

أرقتني خليقة واستحمت بسدرة النجاة ودعكت أطرافي احسانة بزيت الزيتون المطهر بجزء من السور والأيات.

رقصت وغنيت ولم أقل سيقولون ما الذي تفعله هذه الفتاة سوى أنني عشت اللحظة واستغليت كل الثواني والدقائق وتلك الساعات.

ليس لي أن أصف كيف كانت سعادتي، فأنا العاجزة عن قول أنا السعيدة بحجم السعادة التي قد عمت وسكنت كل الجسم والأعضاء.

لم أرد نهاية لليوم ولا ترك موقعي فأنا نكيدة الفاقدة للفرح والسعادة منذ كل السنوات.

لم تكن فرحة عادية ولا السعادة سعادة أي سعيد ما سعد فأنا السعيدة التي تميزت ولفتت الانتباه وحكى عن سعادتها كبير الحاضرين وصغيرهم بالخارج حين غاب.

هو من ارتبط العقل به والروح قد التصقت بروحه دون نية الترك، وهل للروح أن تعيش بدون روحها؟ وأن كنت جنية فلا بد للروح للعيش واثبات الوجود والبقاء.

لم أكن أعلم أن اليوم الذي يلي يوم فرحتي هو يوم لقائي بمن أرادوا لنكيدة الموت لولا إياد، جاء اليوم الذي نويت أن أنام فيه كل الساعات وبحلول الساعة الثامنة صباحًا رن هاتفي، فالمتصل حبيبي يريد أن أتجهز خلال ساعة للخروج فهو بالخارج أمام الباب.

لبست خلال عشر دقائق وفي النزول لم أستغرق الدقيقة سوى هي الثلاثون ثانية كنت بجانبه جالسه، لا أعلم إلى أين نذهب وأنا لم أسأل فهو الأمان وطريق السلامة والخير والنجاة.

وصلنا إلى المحكمة فاليوم جلسة محاكمة أبي واخوتي، وأنا لست بكامل شجاعتي لأدخل من الباب، فقد أراد إياد أن أفرح قبل هذا اليوم ويكون بجانبي دون شك النظرات ومختلف الافتراءات، فهو من أنا له وملكه بالحلال وعلم الجميع من أصحاب الألسنة الطويلة المعروفين بالقول والقيل قد قال.

أبي واخوتي بالقفص والقاضي يطرح على نكيدة مختلف الأسئلة والتساؤلات، لم تكن لي طلبات لأطلبها فأنا من سامحت والدها واخوتها وأنا التي لا تريد لهم السجن كعقاب.

لي طلب واحد سيدي القاضي فهل تقبل بأن أغير اسمي من اسم نكيدة إلى اسم فريحة، فأنا التي تأذت من اسمها وقرروا قتلها وعاشت الذي لم تقوى عليه من اسم لو لم يكن اسمي لما تعرضت لكل هذا ولو كانت حياتي من البداية أفضل حياة.

استغرب القاضي لطلبي فالاسم مقبول كاسم إلا أن صاحبته قد تأذت وما كرهوها إلا لأنها نكيدة الشئم.

لم أترجى سيدي القاضي ولم ألح في طلبي وأنا أشرح له معاناتي مع اسم نكيدة، أصدر القاضي قراره بإمكاني تغيير اسمي من اسم نكيدة إلى اسم فريحة.

تفاجأت ودون تفكير بسيط ابتسمت وضحكت وبكيت، وتم اطلاق سراح أبي واخوتي الأربعة بعد تنازلي عن القضية ومسامحتهم.

خلال أسبوع لا أكثر التقيت بإياد الذي يحمل بيده شهادة ميلادي التي بها اسم فريحة مكان اسم نكيدة الذي لم يعد موجود بكامل بياناتي وأوراقي فأنا من اليوم وصاعدًا اسمي هو فريحة، فيا لفرحتي الكبيرة بهذا الاسم وبتخلصي

من اسم نكيدة الذي لم يعد سوى اسم كان ولم يعد موجود بقوة القانون وفرض على الجميع.

احتفلت مع أهلي ومن أحبهم بفوزي بالأخير وخلال الحفل العائلي الذي كان بمنزل احسانة بحضور إياد وأهله وأنا وأهلي الذين هم خليقة واحسانة ومعلمتي، وخلال الحفل أعلن إياد أن حفل الزفاف سيكون خلال شهر لا أكثر من ذلك.

بدأت التحضيرات للعرس فلم تكن تحضيرات سطحية وعادية وإنما تحضيرات مليئة بالحب والإصرار والحماس، فالكل يشارك ويستعد معنا أنا وإياد والجميع يهتم بكامل التفاصيل دون نسيان أي تفصيلة أو جزئية، فالأدوار بيننا نحن الأهل انقسمت وكل واحد منا مهتم الاهتمام الكامل الجيد الممتاز بالجزء الموكل إليه.

تم ارسال بطاقة العرس إلى الأصدقاء والأحباب وللذين أعرفهم هنا في هذه المدينة الكبيرة الجميلة، وبطاقة من البطاقات كنت قد وضعتها في صندوق الذكريات السعيدة.

بدأت أنقل أغراضي إلى منزلي الجديد الذي سأقيم فيه أنا وإياد، فسيدتي أمي احسانة قد أحضرت لي العديد من الهدايا والأغراض الشخصية والأخرى التي أحتاجها عند استقراري في منزلي الخاص.

أمي خليقة كانت قد أهدتني صندوق الذهب الخاص بها، والفرش إياه أعادت ترتيبه من جديد واعطائه لي وأصريت على أن أضعه تحت في صندق السرير وأنا صراحة لم أرد أخذه إلا أنني في المقابل لا أريدها تغضب أو

تنزعج من رفضي، فقبلت بهديتها الثانية وتأكدت بأنني بالفعل وضعته بصندوق السرير وهذا هو مكانه لا غير وقد كان.

ما بقي على عرسي سوى ساعات قليلة، لبست الفستان الأبيض الذي تم تصميمه كما تخيلته وكنت أتخيله ككل مرة وكان شكله بالنهاية فستان لا يشبه سوى لفستان الأميرة.

انتقلت مع خليقة واحسانة إلى القاعة، كان حفل الزفاف هناك ولم تكن قاعدة كأي قاعة وإنما كانت مميزة جدًا بالتصميم الذي اختاره إياد.

دخلنا معًا وهو يمسك بيدي بشدة قد غطاها حنان لمساته ودفئها الذي أزاح ذلك التوتر والاضطراب.

إياد كان ينظر إليّ ولم يرى غيري طيلة تواجدنا بالقاعة، وأنا عن جمال الحوريات لا أختلف، وكأني تلك الفراشة التي نزلت من السماء أو القادمة من الخيال، والجميع منبهرون بإطلالتي التي حقيقةً سحرتني قبل أن تسحر البقية من الحضور.

قبل يدي وجبيني، ولم يخجل في أن يمنحني حضنًا بريئًا كبيرًا أقسمت من خلاله أن لا أفارق هذه الحضن مهما واجهنا بالحياة.

الحاضرون جميعهم من الأحباب ولا وجود للأعداء، وكفرحتي بهذا اليوم فرحتهم قد قاربت حجم فرحتي التي ستبقى خالدة لليوم الأخير.

شكرت الذين قد شكرتهم وقبلت يد وجبين خليقة واحسانة وطلبت منهما الدعوات والبركات، وغادرنا القاعة معًا إلى عالمنا الخاص والخاص جدًا الذي لن يكون فيه أحد سوى أنا وهو والذي سيأتي من خلالنا وعن طريقنا.

في الغالب البدايات السعيدة لن يأتي بعدها لا تعاسة ولا حزن لن يغيب ولا جروح لن تجف وإنما حياة فيها الذي سيجعل منها أجمل حياة.

مملكتي كانت مميزة بجدرانها وأثاثها وبكل ما فيها، فالذي فرش هذا العش أناس قد تمنوا لنا السعادة، وزوج قد اهتم بكل شيء؛ لأكون مرتاحة وراضية وفي كامل قناعتي واقتناعي.

وبدأت حياة جديدة لم أتخلى فيها على من تركتهم وعائدة إليهم بين الحين والآخر، فلا الحياة حياة بنقصان واحد منهم ولا الحكاية والقصة ستكتمل بدونهم فهم ضمن كل البدايات والنهايات بالحضور والذكريات.

فريحة سعيدة مع إياد فرحة الطفل بلعبته الجديدة، والرضيع بحمله، والمغترب بعودته إلى أرض الوطن، والمشتاق بلقائه بمن يشتاق، والفاشل بنجاحه، والمتميز بوصوله إلى هرم القمة دون بقية البشر والناس.

إياد ذلك الرجل والزوج الحريص جدًا والمجتهد؛ لتعويضي عن كل لحظة حزن عشتها وساعة تعاسة مررت بها ويوم أسود تخبطت في ظلامه، كلامه طيب ومعاملته لي فوق الرائع والممتاز.

لا يتوقف ولا يمل في الاهتمام بي والتفكير بالذي يسعدني، فهو محقق أمنياتي والذي حلمت به وجدته معه وعنده وهو يفعله دون الطلب والالحاح.

يلعب جميع الأدوار ولا يمل ولا يستسلم فهو الأب عند حاجتي إليه، والأخ عند طلب الموقف ومناداتي له في الخفاء، هو الأهل من كبيرهم لصغيرهم، والرفيق الصالح، والصديق الوفي المخلص الواقف بجانبي على الدوام، هو الذي لم أتوقع قدومه وأحضره القدر في اللحظة المناسبة والتوقيت المثالي.

يرافقني إلى المدرسة ويكون الأول عند تكريمي وتسليمي مختلف الشهادات، فما تفوقت إلا لأنه قدم لي كل الدعم والمساندة وما قربت على انهاء دراستي في سنوات قصيرة إلا لأنه أراد لي النجاح المميز وأن لا أكون أقل من الذين هم أحسن مني وأنا أحسن منهم.

أحب وجودي وافتخر بنجاحي وصفق في حضوري وشجع استمراري إلى أن أصبحت امرأة بامتياز.

جاء اليوم الذي على طاولة العشاء بحضور من هم مني ومن هم منه واخبرتهم على خبر حملي فأنا الأم بعد عدة أشهر وهو الأب الرائع دون أي شك أو اختلاف.

أسمعني الشعر وأقوى القصائد والأبيات وترجم لي معاني الحب في كل اللغات وأعلن عشقه لي أمام من يخجل أمامهم، فلم يستحي وقتها فأنا زوجته، رفيقه الدرب وتوأم الروح وشريكته في الحياة.

قدم لي الورد عند طلوع كل صباح ورشني بالعطر عند كل مساء، فهو الزوج الحنون الذي يريد لي السعادة دون انقطاع.

وهبنا الرب بأنثى لا تشبه الباقي من الرُضع والأطفال، شديدة البياض لامعة الجمال أخذت من جمال أمها الكثير والكثير من ملامح الأب فما كانت إلا مزيج من صفات الام والأب.

عشت مختلف السعادات في هذه الحياة إلا أن سعادتي بطفلتي لم تكن كباقي السعادات. هذه ابنتي رؤية التي أقمنا من أجلها السبع ليالي أكل المسكين والفقير وقدمنا لكل محتاج.

غيرت احسانة اسم مدرستها من مدرسة البنات والبنين إلى مدرسة رؤية إلى أن علقت اسمها، فكان مناسبًا لنشاط ومستقبل المدرسة ومن احسانة كان أحسن قرار، وما أجملها هدية من بين الهدايا فهذه هي هدايا الأهل والأحباب.

ليس هذا وفقط ففي ذلك اليوم المميز يوم سبوع رؤية انتقلت ملكية المدرسة من احسانة إلى فريحة، فأنا الابنة التي رأتها الأم تستحق عن غيرها من الذين سيحضرون وقت العزاء.

وخليقة حبيبتي قد قدمت لي ما عندها فالأم لا تبخل عند العطاء. والابن بالروح أن ضحى فالأم هي الأم لا غيرها أحق بالتضحية والعيش خدمًا تحت الأقدام.

لم يمر على ولادة رؤية سنة وقد فارقت خليقة عالمنا وكل الحياة وتركت وصيتها الوحيدة مزقي الفرش بعد دفني بثلاث أيام.

حزني عليها أنساني أن كنت حية أو أحتضر في تلك الدقائق والسويعات ولم أمزق الفرش إلا بعد شهر من الرحيل، فإنني لم أنسى الوصية وإنما صغرت من مضمونها فما كان إلا أن اطبق ما قالت قبل وداعها في لحظة من اللحظات.

وفي وقت لم أرد فيه فعل شيء أخرجت الفرش من صندوق السرير ولم يكن أحدًا بالمنزل سوى رؤية تلعب هناك بإحدى الزوايا، انتظرت عودة إياد إلا أنه تأخر في العودة.

أحضرت مقص وبدأت أقص المفرش وافتحه من ناحية الطول مرة ومن ناحية العرض مرة أخرى، وكانت كذا طبقة قماش مغطى بها الفرش.

وأنا أمزق القطعة الأخيرة من الفرش بدأت تخرج أوراق نقدية جديدة الشكل والحال.

انصدمت ولم أصدق أن الفرش الثقيل العريض الطويل الكبير هو عبارة عن أموال مفروشة بإتقان وبشكل مرتب ومرصوصة بانتظام ودقة.

ما هذا يا خليقة ما هذه الوصية العجيبة الغريبة؟ كل هذه أموال وأنا أقلب في رزم المال وجدت ورقة وكانت رسالة صريحة واضحة مباشرة كتبها أبو الجواد قبل رحيله.

أبو الجواد عندما وقع ولازم الفراش باع كل ممتلكاته ووضع المال هنا في هذا الفرش ليترك كل ما تركه لنكيدة التي هي اليوم فريحة.

واحتفاظ خليقة بهذا الفرش لم يكن من فراغ فقد كانت أمانة وهي الوحيدة الملزمة بالحفاظ عليها وابقائها في المكان الأمن إلى أن تصل لصاحبها الذي هو أنا.

الحياة أشبه بالكرة قد تضربها فتذهب بك إلى مكان بعيد، وقد تفقد قوتها فتبقى بالقرب منك تعاندك على البقاء وعلى الوصول.

نكيدة

نكيدة

الذي نريده منهم مستحيل لن يكون مهما كان وإن كان ممكن وهذا الدارج والواقع في أحدى بيوت الزميلات أو صاحبات الجوار وما يريدونه منا أمر ونهي وفعل مطبق في الحال ومن ردت بالجدال جدالًا نفذ حكم النفي فيها قرارًا لا يعرف التراجع مهما كان فالقانون يطبق على الضعيفة .. والأنثى العاصية بالحق والصواب لا حياة لها وإن ركعت أمام الأرجل العشرة توسلًا والصوت.

من الناحية الأخرى طالبًا النجدة وفك السلاسل وتهديم جدار الحصار.

إلا أن من أرادات إمساك الظلم من العنق بشدة لن تنال سوى ما نالته نكيدة سابقًا هي فريحة اليوم سعيدة بحال الحياة هذه حياتها والمكافحة لها نصيب من الخلاص وإن كان بين الرحيل رحيل من ليس له في البقاء حظ ولا الدعاء يدعه يرحل قبل تذوق ما يخفيه عظيم الدعاء.

نورة طاع الله